

فدريكو غارثيا لوركا

العاقبة

مسرحية

ترجمها عن الإسبانية
حسين نهّابة



العاقِر

العاقِر

فدريكو غارثيا لوركا

ترجمها عن الإسبانية: حسين نهّابة

عنوان الكتاب باللغة الإسبانية:

YERMA

ترجمة عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية:

Barren

By Federico García Lorca

Translated by Hussein Nahaba

الطبعة الأولى: يناير - كانون الثاني، 2023 (1000 نسخة)

Arabic Translation Copyrights@Dar Al - Rafidain 2022

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة / All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخة أصلية من هذا الكتاب ولا احترامك لحقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أي من أجزائه بأي شكل من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ يرفد جميع القراء بالكتب.



بغداد - العراق / شارع المتنبّي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647811005860/+9647714440520

www.daralrafidain.com

info@daralrafidain.com

daralrafidain@yahoo.com

دار الرفدين Dar ALRafidain

daralrafidain

dar.alrafidain

dar_alrafidain

دار الرفدين daralrafidain

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 92 - 5

فدريكو غارثيا لوركا

العاقرة

مسرحية

ترجمها عن الإسبانية

حسين نهّابة



www.daralrafidain.com

في 29 كانون الأول 1934، احتشد آلاف المتفرجين امام «المسرح الإسباني» في مدريد بانتظار فتح الممر المؤدي الى خشية أسدل عليها ستار كثيف. لم يكن اسم المؤلف لامعاً حينذاك، غير ان بطاقات الدخول نفذت قبل يومين من تاريخ الافتتاح. «ترفع الستارة عن امرأة نائمة»، انها (يرما) التي ارتفعت معها همسات وهمهمات وصرخات المقاطعين الذين كانوا يدبرون لذلك الشاب ومسرحيته تظاهرة عدائية كان يمكن ان تُفسدهما معا «هو ومسرحيته». مع ذلك، تسلل الى سلم النجاح بهوء وصخب، فحياه الجمهور بحماس... حياً «فديريكو غارثيا لوركا» الذي أعلن في مناسبات عديدة بانه لا يكثرث ازاء مواقف فئة معينة، والنقد الذي يصب في خدمة النقاد. لم يكن هذا الكاتب منتمياً الى اي حزب سياسي، رغم الصداقة التي كانت تربطه مع شخصيات جمهورية اسبانية. لكنه يشير في بعض اعماله وبهجة نافذة، الى بعض الممثلين اليمينيين، وبهذا يكون قد اتخذ موقفاً سياسياً واضحاً عبر تصريحات عدة تناقلتها الصحف والمجلات آنذاك. ويمضي بنشر آرائه عن «الفنانين في البيئة التي نعيشها اليوم» مشخصاً المعوقات والمشاكل، شارحاً اسبابها «يبود ان البيئة التي نعيشها مضطربة جداً، لكن ليس الى الحد الذي يقنع المرء بانعدام فجر صاف لهذا الاضطراب». في خضم هذه الحالة الهانئة استوحى المؤلف، المادة الحية لنشاطه المبدع «من اجل التفكير والشعور بآئيل المثل الانسانية، فالخاضر اخصب بيئة لذلك...» ثم يتبنى موقفاً لا يحيد عنه ابداً «أني مُناصر ما حبيبت لأولئك الذين لا يملكون شيئاً. نحن - اقصد الرجال ذوي الطابع الفكري والمتعلمين - مدعوون الى التصحية، فلنقبل عليها. ولو خيروني بين كفتين: الاولى تحوي الآمي وتصحياتي، والثانية العدالة للجميع، فسوف أؤثر الثانية بكل جورحي ومساماتي».

قبل عام من افتتاحها، يعلن «لوركا» عن مسرحيته هذه «انها ما تزال بغير عنوان» لكنه يعود مؤكداً بانه وقع على العنوان «العاقرة» وان «الموضوع كلاسيكي، غير ان عرضه وهدفه جاء على نحو جديد، مُستقيان من ثمار الواقع». ان تقديمها بأكثر من مائة عرض آنذاك، دليل على النتيجة التي يتوخاها الكاتب، والتي التهمها الجمهور بتوق وشغف، بعد ان مل طروحات المسرح السائد آنذاك. وهكذا اتخذت المسرحيات التي رسمها المؤلف، السبيل ذاته الذي سلكته «العاقرة» من حيث «الطرح والهدف» إذ تبرز أمام ناظرنا «الإسكافية العجيبة، منزل برناردا ألبا، روسيتا العانس...» وغيرها من المسرحيات التي تنزع أدوارها نساء يناضلن من أجل هدف يرسمه لأنفسهن منذ البدء. وهذا ما حصل لـ «يرما» التي أبصرت النور في بيت ملتزم: الأعراف سبيله وكلام الناس مشكاته. خاضعة هي وخانعة حين تسلّم قيادها لشخص تجهل أنه اللعنة حلت عليها بزواجها به. هو: بعلمها الذي يداب على تذكرها ببيت أبيها والأحكام المتكلسة بجدرانه الأربعة. هي: تزدرد كل هذا أملاً في الحصول على ابن يعتقها. «خوان» لا يكثرث لما يُشغل تفكيرها ليل نهار، سوى ما تعتمل في نفسه من رغبة بلهاء. وهكذا تقوم حوارات المسرحية على جدلية الرفض والاستنكار «مقابل «الحب والتوق».

– أفكر بأشياء كثيرة، وأنا على يقين بأن طفلي المُنتظر لا بد أن يحققها لي جميعاً، فأجله اسلمت قيادي لزوجي ولا أزال حتى أشهد مجيء.

وهكذا ترى «يرما» في الطفل المُنتظر احتمال تجاوز حالتها البدائية المتناقضة والهروب من مفعول التقاليد - سبب حالتها الراهنة. لهذا تستند الأماسة إلى التناقض بين القدرة على التمسك بالتقاليد المرعية في المجتمع والمسامحة المتحققة للهروب من آثارها المستقبلية. تجد نفسها أمام أمرين «الرضوخ لقدر الماضي بكل نتائجه أو الكفاح ضد هذا الماضي الذي يسحقها، لصباغة مستقبل موافق للضرورة البشرية الأساسية: تشريع قدرها الخاص»، فتؤثر «يرما» كياقي ضحايا الأماسة اللوركية، الكفاح، أي السبيل التي تجعلها أما... غير عاقرة، من أجل طفل تعقد عليه كل آمالها، طفل بحررها من ذلك الماضي الذي قادها إلى ما هي عليه الآن. إذا فالفكرة المتسلطة عليها لم تكن الرغبة في الإنجاب فحسب، إنما في الضرورة الاجتماعية في أن تكون أما لطفل يحقق آمالها الخائبة.

تبحث «يرما» في البدء عن ابن بوسائل شرعية، باللجوء إلى تجارب النساء الأخريات. وتُلقن أن العيب قد يكون في زوجها. إذا، فلندع معاناتها وتبحث عنه في رجال آخرين:

– ليكن الله في عوني إذاً.

غير أن دعاءها الإلهي يُقابل بالاستهزاء:

– الله، لا. الله لم يرقني قط. متى ستوقفن عن الإيمان بوجود الخالق؟ الرجال هم الذين يجب أن يقدموا عونهم لك.

إن كلام «يرما» مع الناس بحثاً عن الطفل الضرورة بثير حفيظة «خوان»، بيد أنه يبوء بالفضل. وبين الزوج والزوجة تتعدد المشاهد العنيفة: «خوان» في تجسده للتقاليد التي تحرم على «يرما» الكلام مع الآخرين:

– ألا تعرفين نهجي في الحياة؟ النجاج في الحظيرة والنساء في منازلهن. لقد غالبت في الخروج من بيتك، ألم تعدد مسامحك قولي هذا؟

– تماماً. النساء في منازلهن حين لا تكون المنازل قبوراً.

إن إدراك «خوان» الأثباتي لحالتها، وازدراءه لأسباب سهادها، يبعث فيها رد فعل من سمو الكبرياء، يجعل زوجها في حيرة من أمره، لكنه يظل مصراً على تذكرها بقيود التقاليد التي يجسدها بجلاء:

– استمحيك العذر... ومع أنك تنظرين إلي بطريقة لا تسمح أن أقول لك: استمحيك عذراً، إنما ألزمك بعمل ما أراه مناسباً لأنني الزوج بعد كل هذا.

بيد أن «يرما» لا تتي تتحدث مع الناس. وفي واحدة من محادثاتها القصيرة والمُعبرة مع فيكتور الراعي الذي يلحن هذه الأعراف التي أغرقتها في هذه العبودية.

– ما أتص العجز عن إدراك عبر الكبار!

قائفة تلجأ «يرما» إلى حلول معتقدي الخرافات في التراتيل والابتهالات التي تأمرها إحدى العجائز القيام بها، مؤكدةً بأن نساء عواقر أخريات استطعن الإنجاب بعد أن خضعن إلى التجارب نفسها. واحدة من العجائز اللاتي يوجهن التراتيل، تنفر في وجه «يرما» بعد أن يُست من إقناعها بما جاءت لأجله:

– إذا ليجديك ما اخترته نفعاً.

غير أن هذا لا يعني لـ «يرما» - في حالة الإذعان للمصير - التنازل عن حقوقها ككائن بشري... عن الحرية.

– لست أعير للغد اهتماماً. أنا ابنة اليوم أفكر به. أنت عجوز وترين الأشياء جميعها مثل كتاب مقروء. أما أنا، فظمأى، مسلوية الحرية. أشتعل رغبة في احتضان طفلي بين ذراعي كي أنام بسلام مطمئنة البال.

غير أن مستقبلها يكمن في «خوان» فقط، لأنها وإن تكن راغبة عنه، سلمت بالأعراف المرعية التي توحدت مع زوجها، رغم أنها كانت تغل النفس بالهروب من العبوديات التي يفرضها الزواج على المرأة التي تتقبل بدورها مكرهه. ولأن الطفل المنتظر لم يُولد بعد، رغم التجارب الطبيعية وغير الطبيعية التي حاولتها، تسلّم «يرما» بعجزها للمرة الأولى:

- مكتوب في لوحنا. ولا يُعقل أن أعمد لمطاوله البحار بيد مهشمة حسناً، ليُشِل لساني ما حبيت.

مع ذلك، فالشخص الوركيه تكافح أبداً. فيعد فترة من خمود الهمة، ووفاء منها لمحاولة أخيرة، تحضر «يرما» المهرجان الديني للنساء العاقرات بحثاً عن المعجزة. تكشف الافتراضات التي تعدها العجوز لـ «يرما» ما تضمرة «فوق الطبيعية». بالنسبة لها إنه ابن زنى أو ابن مُتبنى، يترك المشكلة قائمة: التسليم بالقدر الذي فرضه عليها قسراً، ماضٍ تعسفي، شيء غير طبيعي. والحقيقة المواربة تحت دثار «المعجزة» التي كانت آخر أمل لها، كانت في الوقت عينه آخر يأس.

- عاقر، نعم أعرف هذا، وما من مسوغ للأفصاح عنه. لا تعيبي بمشاعري مثلما يتسلى الأطفال باحتضار حيوان لا حول له ولا قوة. منذ أن تزوجتُ وهذه الكلمة تدور رحاها في مساماتي كثيراً، لكنها المرة الأولى التي تدبق بأذني... المرة الأولى التي يتقنونها في وجهي، المرة الأولى التي ألمس حقيقتها.

«عاقر» بالنسبة لـ «يرما» تعني إلزامها بقبول حياة تفرض عليها الأذى من جهة والتخلي عن الابن المولود من طريق اتحاد لم تختره بنفسها من جهة أخرى. «عاقر» تعني لها التنازل عن كينونتها... عن تلمين حقوقها البشرية الأساسية: المساواة مع الرجل في الأقل مع ذلك الذي يخص حياتها على نحو مباشر وجوهري. ورغم يقينها بأن العقم في زوجها وقناعتها بالغش الذي يبطن «فوق الطبيعية» فإنها تتمرد بشرعية وتقتل «خوان»، ماضيها الطاغى ومستقبلها المحال: الابن...

- عاقر، عاقر، أصبحت مؤمنة بذلك. الآن نعم، ألمس هذا بكل جوراحي... لا، لا، لا تتقدموا لأني قتلتُ طفلي. أنا نفسي قتلتُ طفلي.

يحضر «فيكتور» الراعي في لحظات حرجة جداً ويعلم: لو أن «يرما» حصلت على حريتها في اختيار الزوج، لما حصلت الأمساء، على الأقل في صيغة مأساة العقم. هنا يكمن وفي جزء كبير منها، ما تتوخاه «العاقر» من «طرح وهدف جديدين». موقف البطلة يمثل موقف الغالبية العظمى من النساء وحتى الكثير من الرجال في ثلاثينيات إسبانيا. لم يكن الأبناء لينتزوجوا عن رغبتهم، إنما كان أبأؤهم يزوجونهم في الغالب، ولهذا حصل لـ «يرما» عين الذي حصل للفتاة الثانية ولـ «كل العالم» في كنف المجتمع الإسباني في عهد «غارثيا لوركا»، كما يتبين في الحوار المقتضب:

- يرما: لماذا تزوجتِ إذا؟

- الفتاة الثانية: لأهم زوجوني... العجائز يحشرن أنوفهن عنوة في هذه الأمور... إن هي إلا حماقات العجائز.

- يرما: كفاك هدياناً. لا تفوهي بمثل هذه الأشياء.

- الفتاة الثانية: أراك أيضاً ستقولين عني مجنونة. المجنونة! المجنونة! بوسعي أن أبوح لك بالشيء الوحيد الذي استخلصته من عباب الحياة: كلٌ محشور بين جدران منزله، يعمل ما لا يرتضيه.

- يرما: أنت طفلة.

- الفتاة الثانية: نعم، لكنني لستُ مجنونة.

إن «يرما» صدى لحقوق امرأة في مجتمع يتلذذ فيه الرجل بكل شيء، ويجعل منها حاجة بحتة لملكه الخاص. إن ضحايا المسرح اللوركي، و«يرما» مثال لذلك، ليست سوى واحدة من نماذج كثيرة، لا تستسلم لمصيرها، ولا تقبل أي نوع من الانتزاع. تكافح ضد فكرة اعتبارها حاجة المجتمع الذي تعيش فيه، وترفض كل صيغة إثم شخصي. إما أن تكابد أو تموت لتفضح أسباب الخاتمة المأساوية.

- يرما: بطلة المسرحية... زوجة «خوان».
- خوان: زوج «يرما».
- فيكتور: راعي... صديق لعائلة «خوان».
- ماريا: صديقة «يرما».
- الفتاة الأولى والفتاة الثانية: صديقتان لـ «يرما».
- دولوريس: ساحرة تدير طقوس التراتيل في المقبرة.
- شقيقتا «خوان»
- العجوز الأولى والعجوز الثانية.

الفصل الأول

المشهد الأول

تُرْفَع الستارة عن امرأة نائمة، تتبدى عند قدميها سلة خياطة. يطغي على المسرح ضوء حالم. يدخل أحد الرعاة على أطراف أصابعه. ينظر بثبات إلى «يرما»، فيما تحتضن يدها طفلاً أبيض اللباس. تدق الساعة. وبرحيل الراعي، يصبح الضوء الأزرق صباحاً بهيجاً من صباحات الربيع. تستيقظ «يرما».

أغنية (من الداخل)

للمُنْتَظَرَة بين سنابل الوجع

ولمر بيبتها الصغيرة، سنعمز

في الحقل كوخاً صغيراً

ونغني

– يرما: خوان، أسمعني؟ خوان

– خوان: نعم.

– يرما: حان الوقت.

– خوان: هل مضت القطعان؟

– يرما: مضت جميعها.

– خوان: إلى اللقاء. (يتأهب للخروج)

– يرما: هل لك بكأس من الحليب؟

– خوان: لأجل ماذا؟

– يرما: أنت تجهد نفسك في العمل، وما من قوة في جسدك تؤهلك لتحمل هذه الأعباء.

– خوان: حين يضمم الرجال، يزدادون قوة كالقولاذ.

– يرما: أنت شيء آخر. عندما تزوجنا، كنت على غير عهديك الآن. كنت تُشرق بوجه أبيض، كأن الشمس لم تمسه قط. كم يروقني أن أراك تستحم في النهر، وتعتلي السقف حين يتسرب منه المطر. أربعة وعشرون شهراً، انقضت على زوجنا، وأنت تزداد في كل يوم حزناً وضموراً، كأنك تتراجع إلى وراء.

– خوان: هل انتهيت؟

– يرما (تنهض): لا تغتظ من كلماتي. لو كنتُ عابلاً لما سألتُ حكيمًا سواك. «زوجتي مريضة، سوف أذبح هذا الحمل، طعاماً شهياً لها. زوجتي عابلاً، سأحتفظ لها بسمن هذه الدجاجة كي يربط صدرها وسوف أحضر لها جلد الخروف هذا، انقاءً لقدميها من ندف الثلج». هكذا أنا، ولهذا أراني مُرغمة على العناية بك.

– خوان: أشكرك على ما تقدمت به.

– يرما: لكنك لا تعتني بنفسك.

– خوان: لا أشكو شيئاً. إن هي إلا أوهام تبيحها مخيلتك. أعملُ كثيراً، ومع كل عام تساومني الشيوخوخة أكثر.

– يرما: مع كل عام... سنظل قابعين هنا كل عام.

– خوان (مبتسماً): بالطبع، ما دمنا ناعم بالسكينة. العمل يمضي على خير ما يُرام، وما من أطفال لدينا بحاجة إلى تكاليف.

– يرما: ما من أطفال لدينا... خوان.

– خوان: ماذا هناك؟

– يرما: ألسنتُ أحبك؟

– خوان: تحببنتي.

– يرما: أنا أعرف فتيات ارتعشن خوفاً، ويكين قبل دخولهن فراش الزوجية، فهل ذرفتُ دمعاً واحدة حين تضاجعنا أول مرة؟ ألم أكن أذندن لحناً وأنا أرفع الملاءات الهولندية؟ ألم أقل لك، ما أذكي رائحة التفاح المنبعثة من هذه الملاءات؟

– خوان: نعم قلته.

- يرما: أمي بكت حين لم أمتح الفراق حقه. وهذا ما كان بالفعل. ما من امرأة تغلغل إليها السرور حين زواجها مثلما كنتُ أنا عليه. مع ذلك...

- خوان: صه! لذي من الأعمال ما يُغنيني عن سماعه في كل لحظة...

- يرما: لا، لا تردد على مسامعي ما يقولون. إنني أرى بعيني تُعذر ذلك. حتى الأحجار لانتُ وانجست، لكثرة هطول المطر، عن أزهار اللفت التي يجزم الناس بعدم جدواها. «أزهار اللفت اليري لا تجدي نفعاً»، لكني أراها جيداً تُحرّك نواراتها الصفراء في الهواء.

- خوان: لا بد من الانتظار.

يرما: نعم، لا بد. (تبادر «يرما» إلى عناق زوجها وتقبيله)

- خوان: أخبريني إن كنت بحاجة إلى شيء وسأحضره لكِ بنفسِي. تعلمين بأنّي أكره أن تخرجين.

- يرما: لن أخرج بتأتاً.

- خوان: مكانك اللائق هنا.

- يرما: أجل.

- خوان: والطرقات للناس للعاطلين.

- يرما (بتجهم): بالطبع.

(يخرج الزوج، فتصرف «يرما» نحو سلتها. تتحسس بطنها بيديها وترفع ذراعيها بتأؤب عذب، ثم تجلس على الأرض لتخيط).

من أين سنُزهر، وليدي الحبيب؟

«من ذروة البرد الفارس»

ما الذي ينقصك، طفلي الأجل؟

«نسيج حريري ويد حنون»

(تُدخل الخيط في سم الإبرة)

تنتفض الينابيع

وتتمرد الأغصان على شمسها

(وكأنها تحادث طفلاً)

وسط الفناء ينيح الكلب

وعلى الأشجار، تشدو الريح

وللراعي، تُطلق النيران خوارها

فيثور القمر في شعري تجعيّداً

هل تأمرني بشيء، يا طفلي النائي؟

(صمت)

الطودان ناصعان فوق صدرك

فلتنتفض الينابيع

وتتمرد الأغصان على شمسها

(تواصل خياطتها)

أجل، أقولها لك، طفلي

مقطوعة ومكسورة أنا، لأجلك

كم يؤلمني هذا البطن الذي

سيكون لك أول مهد!

فمتى تهَل طفلي؟

(صمت)

حين يتنشق جسدك الياسمين

تنتفض البنابيع

وتتمرد الأغصان على شمسها

(تواصل «يرما» غناءها. تدخل «ماريا» من الباب حاملة حزمة ملابس)

- يرما: من أين قدمت؟

- ماريا: من المتجر.

- يرما: من المتجر في هذا الوقت المبكر؟

- ماريا: لو كان الأمر بيدي، لما مللت الانتظار عند عتبة بابه حتى يفتح. ألا تعرفين ما اقتنيته؟

- يرما: لا بد إنها قهوة للافطار، سكر وخبز.

- ماريا: كلا. ابتعتُ دانتييل وثلاث كرات من الخيط وأشرطة وأصوافاً ملونة كي أصنع منها أثواباً. كان لدى زوجي بعض النقود فتكرّم بها علي.

- يرما: هل ستحيكين بلوزة لك؟

- ماريا: كلا. إنها لأجل... أتعرفين؟

- يرما: ماذا؟

- ماريا: لأنه بدأ يعبث برحمي. (تخفض رأسها)

(تهب «يرما» واقفة، تنظر إليها باعجاب)

- يرما: في شهرك الخامس!

- ماريا: نعم.

- يرما: هل تدوقت حلوة عبيته؟

- ماريا: بالطبع.

- يرما (بفضول): وبمّ تشعرين؟

- ماريا: لا أدري. (صمت) بالضيق.

- يرما: بالضيق؟ (تُمسك بها) لكن... متى وصل؟... أخبريني. كنت غافلة عنه.

- ماريا: أجل، كنتُ غافلة عنه...

- يرما: يجب أن تتهالي فرحاً، أليس كذلك؟ أنا أغني. وأنت؟ أخبريني...

- ماريا: لا تحاصريني بأسئلتك، ألم تُمسكي قط بعصفور حي يتخبط بين يديك؟

- يرما: أجل.

- ماريا: سبان إذا... غير أنه هنا داخل دمك.

- يرما: يا للروعة! (تنظر إليها بشرود).

- ماريا: إنني في حيرة من أمري، لا أعرف شيئاً.

يرما: ممّ؟

ماريا: مما يجب القيام به. سأوجه بالسؤال إلى والدي.

- يرما: ولماذا؟ إنها عجوز ولا بد أن غبار النسيان غطى ذهنها. قللي من سيرك، وعندما تنتفسين، تنشقي الهواء بهدوء، كأنك تحطين وردة بين فكيك.

- ماريا: اسمعي، يقال إنه يرفس رفساً عدباً بساقيه الرقيقتين.

- يرما: حينئذٍ يسمو حيك له، فيما تتاديه «بني».

- ماريّا: مع ذلك، ما زال يكتنفني الحياء.

- يرما: ماذا قال زوجك؟

- ماريّا: لم يفه بحرف.

- يرما: أيكّن لك عشقاً؟

ماريّا: لم يبح لي بهذا، لكنه ما إن يلتصق بي حتى ترتعش عيناه كورقتي شجر مُخْضَلتين.

- يرما: هل كان على علم بأنك...؟

- ماريّا: نعم.

- يرما: وكيف عرف؟

- ماريّا: لا أدري. لكن في ليلة زواجنا، كان يشهق خدي بغمه على نحو دائب وهو يحدثني عنه كثيراً حتى خيل إليّ أن طفلي حمامة مُلتهبة كان يعتقها في أذني.

- يرما: يا لحظك!

- ماريّا: لكنك أدري مني بهكذا أمور.

- يرما: وما نفع ذلك؟

- ماريّا: صحيح، لم هذا كله؟ من بين جميع اللاني تزوجن في عهدك، أنت الوحيدة..

- يرما: فعلاً، ولا يزال أمامي متسع من الوقت بالطبع. (ألينا) تأخرت ثلاث سنوات، وثمة عجايز في سن أمي، طال بهن أكثر من ذلك، لكن عامين وعشرين يوماً، لهُو انتظار طويل لي. أخال أنه ليس من الإنصاف أن أستفد هكذا. كثيراً ما أخرج إلى الفناء عارية القدمين، لأطأ الأرض دون أن أدري لذلك سبباً. وإذا تعاقبت الأمور على هذا المنوال، فلا بد أن النهاية سلبية.

- ماريّا: اقتربي يا صاحبتني! إنك تتحدثين مثل عجوز. يا للقول! من غير اللائق أن يُضج بشكوى هذه الأمور. إحدى خالاتي وضعت مولودها بعد السنة الرابعة عشرة من اقتراها، ويا لجمال طفلها!

- يرما (بقلق): ماذا كان يفعل؟

- ماريّا: مثل ثور صغير كان يبكي، بالقوة نفسها التي يدندن بها ألف صرصار في الوقت ذاته، كان يعطر ثيابنا ببوله ويشد جداننا. وحين بلغ شهره الأربع، كان يُدمي وجوهنا خدوشاً.

- يرما (ضاحكة): لكن هذه الأشياء لا تُؤلم.

- ماريّا: سأقول لك...

- يرما: كفى! رأيتُ شقيقتي تُلقم طفلها، ثديين علتها الخدوش، مما سبب لها ألماً كبيراً، لكنه وجع عذب وحلو وضروري لصحة الأم.

- ماريّا: يُقال إن الأطفال يثيرون المتاعب.

- يرما: كذب. إن هذا الإقول الأمهات الضعيفات الشاكيات. وإلا لماذا أنجبهم؟ أن يكون لديك طفل، لا يعني أنك تحتصنين باقة زهور. لا بد أن نعاني حتى نراهم يكبرون. أظن أنهم سائرون داخل أوردنتنا. لكنهم لنا صحة وعافية وروعة. كل امرأة يجري في عروقها من الدم ما يكفي أربعة أو خمسة أطفال، وإلا انقلب عليها سمًا حين تعجز عن الإجاب، كما يحدث لي الآن.

- ماريّا: لستُ أدري ما يلم بي.

- يرما: سمعتُ أن الخوف يستيقظ في المرأة التي تحمل أول مرة.

- ماريّا (خجلى): سنرى... أنت تجيدين الخياطة...

- يرما (تنتشل الحزمة): هاتي. سأفضل لك ثوبين صغيرين. وهذا؟

- ماريّا: إنها الأقمطة.

- يرما: حسناً. (تجلس).

- ماريّا: إلى اللقاء إذاً.

(تقترب، فتمرر «يرما» يديها على بطنها بلذة)

- يرما: احذري أحجار الطرقات.

- ماريًا: وداعًا. (تقبلها. تخرج).

- يرما: عودي على عجل. (تعود يرما إلى ما كانت عليه في البدء. تُمسك المقص وتشرع بتقطيع القماش. يدخل فيكتور) وداعًا. أهلاً فيكتور.

- فيكتور (تبدو عليه أمارات التفكير والاستغراق): أين خوان؟

- يرما: في الحقل.

- فيكتور: ماذا تخطين؟

- يرما: أفصل بعض الأقمطة.

- فيكتور (مبتسمًا): مرحى!

- يرما (تضحك): وسوف أزيها بالدانتيل.

- فيكتور: لتحمل اسمك إن كانت بنتًا.

- يرما (مرتعشة): كيف؟

- فيكتور: أنا مسرور لأجلك.

- يرما (تكاد تختنق): كلا... هي ليست لي. إنها لطفل ماريًا.

- فيكتور: حسنًا. أمل أن تكون قدوتك. هذا المنزل ينقصه طفل.

- يرما (بضيق): نعم ينقصه.

- فيكتور: سيشغله. أخبري زوجك أن لا يحرص جل اهتمامه بالعمل. يحب أن يكتنز المال وسوف يتسنى له ما يريد. لكن من سيرثه حين يُورى التراب؟ أنا ذاهب مع قطع الأغنام. قولي لـ «خوان» أن يأخذ النعجتين اللتين ابتاعهما مني. أما الأخرى... يا لفداحتها! (يذهب والبسمة بادية على محياه).

- يرما (بتأثر): نعم، يا لفداحتها!

أجل، أقولها لك، طفلي

مقطوعة ومكسورة أنا لأجلك.

كم يؤلمني هذا البطن الذي

سيكون لك أول مهد!

فمتى تهل طفلي؟

(تنهض «يرما» ساهمة وتوجه نحو المكان الذي يقف عنده «فيكتور»، تنتهد بحرقه كأنها تستنشق هواءً جبليًا، ثم تمضي إلى الجانب الآخر من الحجرة كأنها تبحث عن شيء. ومن هناك تعاود الجلوس في محلها السابق، مُمسكةً بالسلة مرة أخرى. تبدأ بالخياطة بعينين تائهتين في نقطة ما).

المشهد الثاني

(في الحقل. تخرج «يرما» حاملة في يدها سلة. تظهر العجوز الأولى)

- يرما: طاب صباحك.

- العجوز: وصباحك أيتها الصبية الجميلة. أين وجهتك؟

- يرما: جئت بالطعام لزوجي الذي يكد في مزارع الزيتون.

- العجوز: متزوجة منذ زمن؟

- يرما: منذ ثلاث سنوات.

- العجوز: لديك أطفال؟

- يرما: كلا.

- العجوز: عجباً! سوف تتجيبين.

- يرما (بشوق): أتعتقدين ذلك؟

- العجوز: وما المانع؟ (تجلس) أنا أيضاً جئت أحمل الطعام لزوجي. رجل عجوز. ما زال مُباركاً على العمل. أنجبتُ تسعة أبناء يتوهجون كالشمس، لكن ما من أنثى بينهم، وهكذا ترينني أنتقل من مكان لآخر.

- يرما: هل تسكنين الضفة الأخرى من النهر؟

- العجوز: نعم، بالقرب من الطواحين. من أية عائلة أنت؟

- يرما: أنا ابنة هنري الراعي.

- العجوز: أه، هنري الراعي، أعرفه جيداً. أناس طيبون. ينهضون بأعبائهم، يتصببون عرقاً، يقاتلون كفاف خبزهم، ثم يلفهم الموت كأنهم لم يكونوا. أما الأعياد، فلآخرين. مخلوقات هادئة. كان بوسعي أن أتزوج أحد أعمامك، لكنني كنت مزاجية وسريعة الحركة في الاختلاف إلى المهرجانات والحفلات، شرهة في التهام العجينة المحلاة بالسكر. كثيراً ما كنت أطل من بابي منذ الصباح الباكر، متخيلة سماع فيثارة تتردد أنغامها في أذني، بيد أن ذلك لم يكن سوى عويل الريح. (تضحك). ستضحكين مني. كان لي زوجان أنجبت منهما أربعة عشر طفلاً، مات منهم خمسة، مع ذلك، لستُ حزينة، وأتمنى أن يطول بي دبيب الحياة. أنا أعى ما أقول. ما أكثر ما تعمّر أشجار التين والمنازل، فيما نتحلل، نحن النساء المسكونات بالشيطان، إلى تراب لأي سبب كان.

- يرما: أحب أن أطرح عليك سؤالاً.

- العجوز: تقضلي (تنظر إليها). أعرف مقدماً ما ستطرحين عليّ. لا يمكن البت في الكلام بهكذا أمور. (تنهض).

- يرما (تقاطعها): لمَ لا؟ إصغاني لحديثك منحي المزيد من الثقة. منذ زمن طويل، تأسرني رغبة في التحدث إلى امرأة عجوز، لأنني أريد أن أستوضح المزيد. أجل، أنت التي ستبوحين لي بذلك...

- العجوز: ماذا؟

- يرما (تخفض صوتها): أنت على اطلاع واسع، لمَ أنا عاقر؟ وهل كُنت علي أن أقضي حياتي كلها في رعاية الطيور، أو إسداد ستارٍ كثيفٍ على نافذتي؟ كلا. لا بد أن ترشدينني إلى صواب ما أفعل، وسأفد ما تطلبين حتى لو أمرتني أن أفقأ عيني.

- العجوز: أنا؟ لا أعرف شيئاً. تفتحت شفاهي يوماً، فشرعت أنشد. الأطفال يُقبلون مثل انسياب المياه. أه! من يقوى على القول إن جسدك ليس حلواً؟ حين تطل خطواتك الطرافات، يسهل لوقعها الجواد. أه! دعيني وشأنني يا فتاة، ولا تحثيني على الإفاضة في الكلام. أفكر بأشياء كثيرة لستُ مرغمة على البوح بها.

- يرما: لماذا؟ حين أخلو بزوجي، لا يحلو معه حديث سواه.

- العجوز: اسمعي، هل يروك زوجك؟

- يرما: كيف؟

- العجوز: أن تكّتي له الحب. أن ترغبين به...

- يرما: لا أدري.

- العجوز: هل تدرلك الرعشة حين يدنو منك؟ ألا تشعرين كأنك في حلم شفاف حين يدنو بشفتيه من شفثيك؟ صارحيني.

- يرما: كلا. لم أشعر بهذا مطلقاً.

- العجوز: مطلقاً؟ ولا حتى عندما كنتِ ترقصين؟

- يرما (تتذكر): ربما... مرة واحدة... مع فيكتور...

- العجوز: أفيضي.

- يرما: طوقَ خصري ببديه، ولم أتمكن من مقاومته لأنني ما كنتُ أقوى على الحديث مرة أخرى، حين كان فيكتور صبيًا له من العمر 14 عامًا، احتواني بذراعيه كي يقفز بي إحدى الترع، فأسررتي رعشة اصطكت لها أسناني. لكنني كنتُ خجلى.

- العجوز: ومع زوجك؟

- يرما: زوجي شيء آخر. أتاني به أبي فاستسلمت له برحابة صدر. هذه الحقيقة الناصعة. بدأت أفكر في الأطفال، منذ أول يوم من خطوبتنا. كنتُ أرنو بنفسي إلى عينيه. أجل، كنتُ أراني غاية في الصبا سهلة القيادة، كما لو كنتُ أنا نفسي طفلي.

- العجوز: على النقيض مني تمامًا. ربما لهذا السبب لم تُنجبي حتى الآن. يجب أن نكنّ للرجال وذا يا صبية، لأنهم يعملون على حل جدائلنا ويسقوننا الماء من أفواههم. تلك سنة الحياة.

- يرما: حياتك أنت. أما أنا، فلا أفكر بأشياء كثيرة وأنا على يقين بأن طفلي المُنتظر لا بد أن يحققها لي جميعًا. فلأجله أسلمتُ نفسي لزوجي، ولا أزال، حتى أشهد مجيئه، لكن ليس من أجل متعتي قطعًا.

- العجوز: والنتيجة أنك خاوية!

- يرما: لا، لسْتُ خاوية ما دمت أضطرم كرهًا. أخبريني، أهي خطيئتي؟ أم اللائق أن أبحث في الرجل عن الرجل فقط؟ إذًا، ما الذي سيشغل تفكيرك، حين يستدير أبنام، ويتركك على السرير بعينين حزينتين ترنوان إلى السقف؟ هل يحسن أن أوصل تفكيري به، أم بالذي يمكن أن يخرج من أحشائي مُضيقًا؟ إنني في حيرة من أمري، لكن رحمةً بي، وأقدي لي الحقيقة. (تجتو على ركبتيها).

- العجوز: أه، أية زهرة متفتحة! يا لجمالك! دعيني. لا تُكرهيني على الإفاضة بالحديث، لا أريد أن أبوح لك بالمزيد. إنها مسائل شرف، وأنا لا أطعن بشرف أحد. ستعلمين فيما بعد. مهما يكن من أمر، كان يجب أن تكوني أقل براءة مما أنت عليه.

- يرما (بحزن): إن الصبايا اللاتي يترعرعن في الحقول مثلي تُوصد الأبواب دونهن جميعًا. كل شيء يستحيل إنصاف كلمات، تلميحات، لأن هذه الأمور قاطبة لا إلام لنا بها. وأنت أيضًا، حتى أنتِ تترمين الصمت وتجميلين بخلق الطبيعة، تعرفين كل شيء، لكنك تبخلين به، على تلك التي تموت طمًا.

- العجوز: كنتُ سأحدثك به مع امرأة أخرى أكثر هدوءًا، لكن أنتِ، لا. أنا امرأة عجوز وأعي ما أقول.

- يرما: ليكن الله في عوني إذًا.

- العجوز: الله، لا. الله لم يرقني قط. متى سنتوقفن عن الإيمان، بوجوده؟ الرجال الذين يجب أن يقدموا عونهم لك.

- يرما: لكن ما الذي يدعوك للتفوه بهذا؟ لماذا؟

- العجوز (تتأهب للرحيل): مع ذلك، لا بد من وجود رب، حتى لو كان صغيرًا، كي يصعق الرجال المُنحدرين من سلالة مُنفسخة، الذين يسرقون الحقول بهجتها.

- يرما: يصعب عليّ إدراكك وفهم نيّاتك.

- العجوز: حسنا، أنا أفهم نفسي. لا تحزني، وعيشي في كنف الأمل. أنتِ لا تزالين شابة، فماذا تريدين مني أن أفعل؟ (ترجل، تظهر فتاتان).

- الفتاة الأولى: أينما نحل، أناسنا نلتقي.

- يرما: الرجال يكدون في مزارع الزيتون ويجب أن نُحضر لهم طعامًا. لم يتخلف عنهم سوى كبار السن، في المنازل.

- الفتاة الثانية: هل أنتِ عائدة إلى القرية؟

- يرما: أجل، هو كذلك.

- الفتاة الأولى: أنا على عجلة من أمري. تركتُ طفلي نائمًا، وما من أحد في البيت.

- يرما: أسرعي إذًا يا امرأة. يجب أن لا ندع الأطفال وحدهم. هل لديك خنازير في المنزل؟

- الفتاة الأولى: كلا. لكنك على حق. أنا ذاهبة على عجل.

- يرما: بسرعة. هكذا تجري الأمور. مؤكد أنكِ أفلتتِ الباب عليه.

- الفتاة الأولى: بالطبع.

- يرما: نعم، لكنكن لا تدركن ما تعنيه كلمة طفل صغير. السبب الذي قد نراه تافهًا، يمكن أن يُهيئ حياته: إبرة صغيرة أو جرة ماء.

- الفتاة الأولى: أنتِ على حق. سأهرع إليه. لم أنتبه جيدًا لهذه الأشياء.

- يرما: عجلي.

- الفتاة الثانية: لو كان لديك أربعة أو خمسة أطفال، ما كنتِ تحدثتِ هكذا.

- يرما: لم؟ هكذا أنا حتى لو كان لدي أربعون.

- الفتاة الثانية: مهما يكن من أمر، أنا وأنت، سنعيش حياة هادئة، دونهم.

- يرما: انا، لا.

- الفتاة الثانية: أما أنا، نعم. يا لتوئك الشديد! إن الدتي لا هم لها سوى جلب الإعشاب والزامي بتعاطيها، وفي شهر تشرين الأول، نذهب إلى القديس الذي يُقال إنه يمنح الأطفال لمن يسألونه بإخلاص. ستطلب أمي منه، ما سأمتنع أنا عن سؤاله.

- يرما: لماذا تزوجتِ إدا؟

- الفتاة الثانية: لأنهم زوجوني. الفتيات مصيرهن الزواج. وإذا سلكتنا هذا السبيل، فلن يبقى سوى الصغيرات بغير زواج. حسنًا، ثم إن الواحدة منّا تتزوج في الحقيقة قبل أن تذهب إلى الكنيسة بمدة طويلة. غير أن العجائز يحسرن أنوفهن عنوةً في هذه الأمور. عمري بنوف على التاسعة عشرة، وما زلتُ أكره الطهي والغسيل. حسنًا، وهكذا طوال اليوم يتحتم علي أن أعمل ما لستُ أطيق. ومن أجل ماذا؟ وأية ضرورة تدفع زوجي ليكون زوجي؟ لأننا نقوم بالطقوس ذاتها منذ خطوبتنا وإلى الآن. إن هي إلاّ حماقات عجائز.

- يرما: كفى. لا تتقوهي بهذه الأشياء.

- الفتاة الثانية: أنت أيضًا ستقولين عني مجنونة. «المجنونة، المجنونة!» (تضحك) يوسعي أن أبوح لك بالشيء الوحيد الذي استخلصته في حياتي: الناس جميعًا محشورون بين جدران منازلهم، يعملون بإكراه. كم جميل لو أهيم في الطرقات، اذهب إلى الغدير، واعتلي السلام كي أتق الأجراس وأتناول اليانسون المُتَلَج.

- يرما: أنت طفلة.

- الفتاة الثانية: نعم، لكن لستُ مجنونة. (تضحك).

- يرما: أتسكن والدتك في أعلى مكان في القرية؟

- الفتاة الثانية: نعم.

- يرما: في البيت الأخير؟

- الفتاة الثانية: نعم.

- يرما: ما اسمها؟

- الفتاة الثانية: دولوريس. لم كل هذا الفيض من الأسئلة؟

- يرما: لا شيء.

- الفتاة الثانية: هل لمصلحة تسألين؟

- يرما: لا أدري... يُقال...

- الفتاة الثانية: انظري، أنا ذاهبة لأطعم زوجي. (تضحك)، أجل، لا بد أن تشهدني هذا. يا للشقاء في أن أعجز عن قول: خطيبي. أليس كذلك؟ (ترحل ضاحكة بسرور). وداعًا.

صوت فيكتور (مُنشدًا)

لم تنام وحيدًا أيها الراعي؟

وسريري الصوفي، فراشك الوثير

لم تنام وحيدًا؟

يرما (مُصغية)

لم تنام وحيدًا أيها الراعي؟

وسريري الصوفي، فراشك الوثير

من حجر قاتم قُدت ملاءك، أيها الراعي

ومن الجليد قميصك،

الليل في سريرك

أسل شتائي مُعتم،

بييضه البلوط، إيرًا،

تحت الوسادة، أيها الراعي

وإن نتاهى إلى سمعك صوت امرأة،

فصوت تكسر المياه هو

يا راعي

ما الذي يريده الجبل منك؟

جبلٌ من أعشاب مُرّة،

أي طفل تقتله

شوكة الرّتم!

(تتأهب للخروج فتصطدم بـ «فيكتور» داخلًا)

– فيكتور (مُبتهجًا): أين وجهه هذا الجمال؟

– يرما: أكانَ نشيدك؟

– فيكتور: نعم.

– يرما: يا لروعته! لِمَ أسمعك من قبل قط.

– فيكتور: صحيح؟

– يرما: يا لرخامة صوتك! كأنه جرة ماء تملأ الفم كله.

– فيكتور: أنا سعيد.

– يرما: حقًا؟

– فيكتور: مثلما تُوسر محياك مسحة حزن.

– يرما: لستُ حزينة، لكن لدي أسبابي التي تجعلني كذلك.

– فيكتور: وزوجك أشد حزنًا منك.

– يرما: نعم، إنه جاف الطباع.

– فيكور: إنه كذلك دائمًا. (صمت، تجلس يرما) هل جنت بالطعام؟

– يرما: نعم. (تشمله بنظراتها. صمت) ما لديك هنا؟ (تشير إلى محياه)

– فيكتور: أين؟

– يرما (تنهض «يرما» وتدنو من «فيكتور»): هنا... في وجنتيك، تبدو كأنها حروق.

– فيكتور: أنتِ واهمة.

– يرما: هكذا خُيل إليّ. (صمت).

– فيكتور: لا بد إنها الشمس...

– يرما: ربما... (يشملهما الصمت، ويبدأ صراع خف بين شخصين تُعدم فيه الإيماءات والحركات).

– يرما (مُرتعشة): أسمع؟

– فيكتور: ماذا؟

– يرما: ألا تشعر ببيكائه؟

– فيكتور (مُصغيًا): كلا.

– يرما: إلى سمعي يتناهى بكاء طفل.

– فيكتور: حقًا؟

- يرما: شديد القرب منا. يبكي بكاءً مكتومًا.
- فيكتور: غالبًا ما يتسلل إليّ هنا الكثير من الأطفال لسرقة الفاكهة.
- يرما: كلا. هو بكاء وليد. (صمت).
- فيكتور: لا أسمع شيئًا.
- يرما: لا بد إنها تخيلات ابتدعتها ذاكرتي (تنظر إليه بثبات، فيما يبادلها «فيكتور» النظرات وشيئًا فشيئًا يحيد عنها بنظراته كما لو كان خائفًا. يظهر «خوان»).
- خوان: ما الذي يُقَبِّك هنا حتى اللحظة؟
- يرما: كنتُ أتحدث.
- فيكتور: وداعًا (يخرج).
- خوان: كان يجب أن تكوني في البيت.
- يرما: كنتُ أتسامر مع نفسي.
- خوان: لستُ أفهم بمِ تسامرينها؟
- يرما: بسماع شِدو العصافير.
- خوان: حسنًا. بهذا الشكل ستدفعين السنة الناس لأن تلوكنك.
- يرما (بقوة): خوان، ماذا تقصد؟
- خوان: أنا لا أعنيك، بل أعني الناس.
- يرما: اللعنة على أرواحهم!
- خوان: لا تصبي لعنتك عليهم، هذا غير لائق بامرأة.
- يرما: ليبتني كنتُ امرأة.
- خوان: لنكف عن هذا اللغو. اذهبي لمنزلك. (صمت).
- يرما: حسنًا. هل أنتظرك؟
- خوان: كلا. سأعمل في الحرث أثناء الليل وحتى مطلع الفجر، كي أؤمن المياه للمزرعة، وأقيها عبث اللصوص. نامي بسلام.
- يرما (بحزن): سأفعل (تخرج).

الفصل الثاني

المشهد الأول

نشيد قبل رفع الستار. ثمة نبع تغسل فيه نساء القرية ملابسهن. كن يجلسن على أبعاد متباينة. يغنين:

في الغدير البارد

أغسلُ أشرطتك،

فتتلاًلاً من ثغركَ بسمة

ياسمينة متوهجة

- الغسالة 1: لستُ أرغب بمشاطرتكِ أطراف الحديث.

- الغسالة 3: لكن لا بد من الحديث هنا.

- الغسالة 4: ولا سوء في الأمر.

- الغسالة 5: من تخشى على شرفها، فلتصنه.

- الغسالة 4: من يشته الشرف، فليستقم تصرفاً (يضحكن).

- الغسالة 5: هكذا يسيل الحديث.

- الغسالة 1: لكننا لا نعلم شيئاً أبداً.

- الغسالة 4: مؤكد أن الزوج أتى بشقيقتيه ليقاسمها العيش.

- الغسالة 5: العانستان؟

- الغسالة 4: نعم. كن قد نذرن أنفسهن للعناية بالكنيسة، أما الآن فسوف ينصرفن للاهتمام بزوجة أخيهما. لا قدرة لي على العيش معهما.

- الغسالة 1: لماذا؟

- الغسالة 4: لأنهن يُثرن في الرعب، كذلك الأوراق الكبيرة التي تثبت فجأة فوق القبور. إنهن مطليات بالصففر ومحشوات به حتى الوريد. قيل لي إنهن يستخدمن زيت المصابيح للطهي.

- الغسالة 3: وهل هن في المنزل الآن؟

- الغسالة 4: منذ يوم أمس. ولا يزال الزوج يخرج لحقوله.

- الغسالة 1: لكن، أيمن الوقوف على ما حدث؟

- الغسالة 5: أمضتُ عشية أول أمس، جالسة على العتبة رغم الزمهرير.

- الغسالة 1: لكن، لماذا؟

- الغسالة 4: لم تطق المكوث في منزلها.

- الغسالة 5: هكذا حال العاقرات، يروقهن اعتلاء السطوح والسير على هذه الغدران عاريات الأقدام بدلاً من الانشغال بتطريز الدانتيل أو عمل مربى التفاح.

- الغسالة 1: من أنت حتى تتفوهي بهذه الأشياء؟ إنها لا تتجب أطفالاً. لا ذنب لها.

- الغسالة 4: المرأة صاحبة القرار الحاسم في الإنجاب. المترفات والمنكاسلات والرقاقات فقط، لسن على استعداد لتتقدمهن بطون مجعدة (يضحكن).

- الغسالة 3: يتزينن بالمساحيق ويُسكنن بأغصان الدفلى بحثاً عن آخر.

- الغسالة 5: صدقت.

- الغسالة 1: لكن، هل رأيتها حقاً مع آخر؟

- الغسالة 4: لم تكن نحن، بل الناس.

- الغسالة 1: الناس دائماً!

- الغسالة 5: يُقال إنهم شاهدوها في مناسبتين.

- الغسالة 2: وماذا كانا يفعلان؟
- الغسالة 4: يتحادثان.
- الغسالة 1: الحديث ليس خطيئة.
- الغسالة 4: ثمة شيء في العالم اسمه النظرة. هكذا كانت تقول لي أمي. أن ترنو المرأة إلى زهور، يختلف تمامًا عما لو كانت تنظر إلى عضلات رجل. هي كانت تنظر إليه.
- الغسالة 1: لكن إلى مَنْ؟
- الغسالة 4: إلى أحدهم، تسمعين؟ استنتجي بنفسك، أم أنك تريدني أن أقولها بأعلى صوتي؟ (ضحكات). حتى بوحدتها، تُطبق عينيها على صورته.
- الغسالة 1: افتراء! (ضجة).
- الغسالة 5: والزوج؟
- الغسالة 3: الزوج كالأصم، يقف مثل سحلية مُعرّضة للشمس. (يضحكن).
- الغسالة 1: ما كان ليحدث كل هذا، لو كان لديهما أطفال.
- الغسالة 2: إن هي شؤون أناس يجحدون بما كُتِبَ لهم.
- الغسالة 4: الجحيم يزداد سعيًا في ذلك المنزل بانصرام كل ساعة. هي وشقيقنا زوجها يقضين النهار كله في طلاء الجدران وتلميع النحاس وتنظيف الزجاج بالبخار، وفي ملء المصابيح بالزيت، دون أن ينبسن ببنت شفة. لكن كلما ازداد المنزل بريقًا، ازداد اضطرابه من الداخل.
- الغسالة 1: الذنب فيه. حين يكون الزوج عاجزًا عن الإنجاب، فلا بد له من الانصراف لزوجه كليًا.
- الغسالة 4: الذنب ذنبها. لسانها كحد الصوان.
- الغسالة 1: أية شياطين حشرت نفسها بين شعرك، لتتقوي بهكذا كلام؟
- الغسالة 4: ومَنْ أباحَ لفمك شرعية إبداء النصح لي؟
- الغسالة 2: كفى.
- الغسالة 1: كم أود أن أصلب الألسن النمامة بإبرة حياكة.
- الغسالة 2: اسكتن.
- الغسالة 4: أما أنا، فأطراف أثناء المناقشات.
- الغسالة 2: كفى جدًّا، ألا ترين أن الشقيقتين قادمتان؟
- (همهمات. تدخل شقيقتنا زوج «برما» متشحنتين بالسواد. يشرعن بالغسيل، فيما يطبق الصمت حولهن. يُسمع صوت أجراس الرعاة).
- الغسالة 1: أترى الرعاة راحلون؟
- الغسالة 3: أجل. وتخرج معهم القطعان جميعًا.
- الغسالة 4: كم تروقني رائحة النعاج!
- الغسالة 3: حقًّا؟
- الغسالة 4: لمَ لا؟ هي رائحة ما تملكه المرأة. مثلما أحب رائحة الطمي الأحمر الذي يجرفه النهر في الشتاء.
- الغسالة 3: أهواء!
- الغسالة 5 (مُحدقة): القطعان تمضي جميعها معًا.
- الغسالة 4: إنه فيضان الصوف. يجرفن كل شيء يصادفه. لو كان لأعواد الحبوب الخضراء رؤوس، لارتعشت لدى رؤيتها قادمة.
- الغسالة 3: انظري كيف تعدو. يا لها من عصبية أعداء!
- الغسالة 1: ها قد خرجت جميعها، ولم تتخلف عنها واحدة.
- الغسالة 4: لننتظع... كلا... نعم، نعم، ثمة واحدة تخلفت.
- الغسالة 5: أيها...؟

- الغسالة 4: تلك التي تعود إلى فيكتور.

(تقف شقيقتنا الزوج وتظران إلى بعضهما).

في الغدير البارد،

أغسلُ أشرطتكُ

فتتألأ من ثغركَ بسمة

باسمينة متوهجة.

ليبتني أفيق

على عادة الثلج

تمضع باسمينتها

- الغسالة 1:

أسفي على المتزوجة الخاوية!

أه على فتاة نهذاها من تراب!

- الغسالة 5:

أخبريني إن كان زوجك

يحمل بذرة

كي تشدو المياه

على ثيابك.

- الغسالة 4:

ثوبك

زورق فضة وريح

عند الضفاف

- الغسالة 1:

لغسل ثياب طفلي

قادمة أنا،

كي ألقن المياه

درسًا في النقاء

- الغسالة 2:

من الجبال يهبط

بعلي، ليأكل

زهرة يهديني

فأهديه ثلاث

- الغسالة 5:

من السهول جاء زوجي

يقاسمني العشاء

بالأس غمرتُ

قبس أتاني به

- الغسالة 4:

عبر الأثير قَدِمَ بعلي

لينام،

زهور «المنثور» الحمر أنا

زهرة «المنثور» الحمراء هو

- الغسالة 1:

أقم زواج الورد بالورد

حين يجفف الصيف،

دم الحاصد

- الغسالة 4:

وتفتح الريح أنداءها،

لطيور دون حلم

حين يطرق الشتاء

الباب مرتجفاً

- الغسالة 1:

لا بد من التأوه في الملاءة

- الغسالة 4:

ولا بد من النشيد

- الغسالة 5:

حين يهدينا الرجل

التاج والخبز

- الغسالة 4:

لأن أذرعنا تلتف

- الغسالة 2:

لأن الضياء في حناجرنا،

يتشابك

- الغسالة 4:

وتضطرب سيقان الأغصان

- الغسالة 1:

فتلعب مضارب الريح،

الجبال

- الغسالة 6 (تظهر من أعلى الغدير):

حتى يتنشق الطفل،

زجاج السحر الجاسيء

- الغسالة 1:

وتتجمل أجسادنا،
بأغصان المرجان الغاضبة

- الغسالة 6:

حتى يتدفق المُجذفون
في مياه البحر

- الغسالة 1:

ثمة وليد، طفل صغير

- الغسالة 2:

يفرش الحمام أجنحته
والمنقار

- الغسالة 3:

ويبكي الطفل مولود

- الغسالة 4:

ويتقدم الرجال
مثل غربان مُثخنة بالجراح

- الغسالة 5:

مرحى، مرحى، مرحى
للبطن المدورة خلف الثياب

- الغسالة 2:

طوبى، طوبى، طوبى
للسرة،

ليكم الزهرة الرخو

- الغسالة 1:

أسفي على المتزوجة الخاوية!

آه على فتاة نهذاها من تراب!

- الغسالة 3:

لنتزين!

- الغسالة 2:

لتعدو!

- الغسالة 5:

لتعاود زينتها!

- الغسالة 1:

لنتشدد!

- الغسالة 2:

لنتخفى!

- الغسالة 1:

ولتعاود إنشادها!

- الغسالة 6:

الفجر الذي يحمل طفلي

في منزره.

- الغسالة 2 (يغنين جميعًا بصوت واحد):

في الغدير البارد،

أغسلُ أشرطتكَ

فتتلاّأ من ثغركَ بسمة

ياسمينة متوهجة.

ها، ها، ها

(يعصرن غسيلهن بحركات متواترة ويضربنها).

المشهد الثاني

منزل «يرما» عند المساء. «خوان» جالس وأخته واقفتان.

– خوان: تقولين إنها خرجت منذ حين؟ (تجيب الشقيقة الكبرى بإيماءة من رأسها) لا بد أنها ذهبت إلى النبع. لكنكما تعرفان أنني لا أحب أن تخرج وحدها. (صمت). بإمكانك تهيئة المائدة. (تخرج الأخت الصغرى). أشقى كثيرًا، لأحصل على خبز أكله. (مُوجهاً الحديث لشقيقته)، أمضيتُ البارحة نهارًا مُرهقًا، وصرت أفكر: لمَ كل هذا الكد في العمل إذا لم يكن بمقدوري حمل نقاعة واحدة إلى فمي؟ لقد مللت (يمرر يده على وجهه صامت) لم تأتي تلك. كان يجب أن ترافقها إحداكن، فمن أجل هذا تشاركاني الطعام على المائدة ونقاسماتني شرب النبيذ. حياتي في الحقل، لكن شرفي هنا. وشرفي، شرفكن أيضًا. (تحني الأخت رأسها). لا تأخذي قولي على محمل سيئ.

تدخل «يرما» حاملة إبريقين، وتمكث عند الباب دون حراك.

– خوان: أقادمة من النبع؟

– يرما: لأجلب ماءً باردًا (تخرج الأخت الأخرى) كيف حال الحقول؟

(تترك «يرما» الإبريقين. صمت).

– خوان: البارحة شذبت الأشجار.

– يرما: هل ستبقى معنا؟

– خوان: يجب أن أرى الماشية، فهي من واجبات المالك كما تعرفين.

– يرما: أدرك هذا جيدًا. لا تكررهِ على مسامعي.

– خوان: لكل رجل حياته.

– يرما: ولكل امرأة حياتها. لستُ أسألك البقاء، فلدي كل ما أحتاج هنا. شقيقتك تسهران على راحتي، وكل يوم أكل خبزًا طازجًا ولبنًا مختثرًا ولحم خروف مشوي. فيما ماشيتك تعبت عند الجبل بمرتعها الغني بالطل. أعتقد أن بإمكانك أن تعيش بسلام.

– خوان: كي يمضي المرء حياته بسلام، عليه أن يكون مطمئن البال.

– يرما: لستُ كذلك؟

– خوان: نعم، ما هكذا أنا.

– يرما: حسن نياتك.

– خوان: ألا تعرفين نهجي في الحياة؟ النعاج في الحظيرة والنساء في منازلهن. لقد غاليبت في الخروج من البيت. ألم تعدت مسامعك قولي هذا؟

– يرما: تمامًا. النساء في منازلهن حين لا تكون المنازل قبورًا، حين لا تنهرا المقاعد وتحتصر الملاءات نتيجة الاستعمال. أما هنا، فكل شيء مختلف. عندما أضطجع كل ليلة، أجد فراشي أكثر بريقًا ونظافة كأنه أحضر من المدينة توارًا.

– خوان: ها أنتِ تسلمين بشرعية شكواي. لدي الكثير من الدوافع ما يجعلني يقظًا.

– يرما: يقظًا؟ مم؟ لم أجرك بشيء. حياتي لجام بين يديك ومعاناتي التي تسري بأوردتي، أحاول أن أكظمها. كل يوم يمضي تزداد الأمور سوءًا. لتكف أفواهنا عن الكلام. جاهدة، سأعرف كيف أحمل صليبي، لكن لا تسألني المزيد. لو تسنى للشيوخوخة أن تدركني فجأة ويغدو فمي زهرة مسحوقة، لما توقفت عن الابتسام لك حينئذٍ، ولا عن العيش معك. أما الآن، الآن دعني وأشواكي.

– خوان: أنتِ تتكلمين بطريقة عسيرة على إدراكي. لم أحرمك شيئًا. كنت أرسل من القرى المجاورة كل ما يروقك. لدي عيوي، أجل، لكني أريد أن أعيش بسلام وسكينة معك. أريد أن أنام في الخارج وأفكر بأنك تتامين أيضًا.

– يرما: لكني لا أنام، لا تقر لي عين.

– خوان: هل يفصك شيء؟ قولي، أجيبي.

– يرما (بعزم، تنظر إلى زوجها بثبات): أجل، ينقصني. (صمت).

– خوان: الشيء ذاته دائمًا، نلوكه منذ أكثر من خمسة أعوام. كدتُ أنساه.

– يرما: لكنني على النقيض منك. للرجال حياة أخرى: الماشية والأشجار والمحادثات. أما نحن النساء، فلا شاغل لدينا سوى الأطفال والسهير على راحتهم.

– خوان: البشر ليسوا سواسية. لمَ لا تتبينين أحد أطفال أخيك؟ لن أعارض.

– يرما: لا أريد أن أحتضن أطفال الآخرين. يُخيل إلي أن ذراعي ستُلجان حين تغمرهما.

– خوان: لهذا السبب، أراك طائشة لا يعن لك التفكير في واجباتك وتصرين على مناقحة الصخور؟

- يرما: وصمة على الصخور أن تعترف بكينونتها بينما كان يجب أن تكون باقة ورد أو ماء عذبًا.
- خوان: أشعر بالقلق والاضطراب عندما أكون إلى جانبك. بعد كل هذا، لا بد أن تدعني لقدرتك.
- يرما: لم أجيء إلى هذه الجدران الأربعة كي أذعن لقدرتي. حين يُكلم فمي بمندبل كيلا أتكلّم، وتوثق يداي داخل تابوت، عند ذلك سوف أنقمص دوري في مسرحية القدر.
- خوان: إذا، ما أنت فاعلة؟

- يرما: أريد أن أرتشف ماءً، وما من كأس ولا ماء، أريد أن أعتلي جبلًا بأقدام خانة، أريد أن أطرز ثيابي وما من خيط بين يدي.
- خوان: لست امرأة حقيقية، تبحثين عن دمار رجل لا إرادة له في ذلك.

- يرما: لا أعرف من أنا. دعني أبيض بما في داخلي، ما دمّت لم أسيء إليك بشيء.
- خوان: لا أحب أن تُشار إليّ أصابع الناس. لهذا، أريد لهذا الباب أن يكون مُوصدًا، وكل امرئ قابع في داره.
(تخرج الأخت الأولى بتأن وتقترب من إحدى الخزانات)

- يرما: الحديث مع الناس ليس خطيئة.

- خوان: لكنه يمكن أن يكون كذلك.

(تخرج الأخت الأخرى وتتجه نحو الإبريقين وتملأ منهما جرة)

- خوان (مُخفضًا صوته): لا قوة لي على تحمل هذه الأشياء. امنحهم الأذن الصمّاء حين يحدثوك، وتذكري بأنك امرأة متزوجة.

- يرما (بتعجب): متزوجة؟

- خوان: وأن للعائلات شرفًا، والشرف عبء يجب أن نتقاسمه نحن الاثنان. (تخرج الأخت مع الجرة ببطء). لكنه غامق وخفيف في قنوات الدم ذاتها. (تخرج الأخت الأخرى، حاملةً الصحن كأنها تسير في موكب. صمت) أستمحك العذر. (تنظر «يرما» إلى زوجها الذي يرفع رأسه فيصطدم بنظراتها). مع أنك تتظنرين إلي بطريفة لا تسمح أن أقول لك، أستمحك عذرًا، إنما ألزمك بعمل ما أراه مناسبًا، لأني الزوج، بعد كل هذا.

(تظهر الأختان عند الباب)

- يرما: أتوسل إليك أن تكف عن هذا الحديث. دعنا من هذه المسألة (صمت).

- خوان: هيا نأكل (تدخل الأختان) هل سمعت؟

- يرما: كلُّ أنت مع شقيقتيك. لا شهية لدي.

- خوان: كما تشائين (يدخل).

- يرما (كما لو كانت في حلم):

يا لوحشة المروج

والباب تُطبق على زينتها!

أن أتمنى طفلاً، أن أعاني

ليمنحني الأثير زهور الداليا

وقمرًا غافيا

كان نبعي حليب بارد

وثبتا جواد تهزان غصن ألامي

أسفي عليكما يا نهدي الغافيين

تحت ثيابي

أسفي على الحمامتين اللتين

غادرتهما العيون والبياض

يا لوحشة الدم السجين

نحلة تخز الفقا!

لا بد أن تأتي، صغيري الحبيب

ما دامت المياه تُهدى ملح،

والأرض ثمر

فلاحتضانك، أتعقت أرحامنا،

مثلما تهبّ الغيوم، حلو المطر.

(ترنو ناحية الباب): ماريا، لم تمضين بهذه السرعة أمام بابي؟

- ماريا (تدخل محتضنة طفلاً): افعل هذا، حين يكون الطفل بين أحضانتي... تبكين جرياً على عادتك.

- يرما: أنت على حق (تأخذ الطفل وتجلس).

- ماريا: غيرتك نثير في كوامني أماً.

- يرما: ما من غيرة لدي، إنها شقاء.

- ماريا: لا تضج بالشكوى.

- يرما: كيف لا أشكو حين أراك أنت، والنساء الأخريات غاصات بالزهور حتى الوريد، فيما أراني خاوية وسط كل هذا الجمال.

- ماريا: لكن لديك أثنائك الأخرى. لو تأخذين بنصحي، لأمكك أن تكوني سعيدة.

- يرما: المرأة الريفية التي لا تضع أطفالاً، لا نفع يُرجى منها، مثل كومة أشواك خبيثة. وأنا من هذه الفضلات التي تخلت يد الله عنها.

(تقوم «ماريا» بحركة كي تأخذ الطفل).

- يرما: خذيه، إنه أفضل حالاً بين أحضانك. لا بد أن يديّ جُبلتا على نقيض أيادي الأمهات.

- ماريا: لم هذا الكلام؟

- يرما (تنهض): مللت، لأنني ما عدتُ أطيق وجودهما عاجزتين عن احتضان شيء بخصني. أراني مُهانة، مُهانة ووضيعة إلى أقصى حد، ما دمتُ أشهد السنايل تتفتق، والينابيع لا تتوقف عن التدفق، والنعاج تضع منات الحملان، وكذلك حال الكلاب. يبدو لي أن الحقول بأجمعها واقفة تشير إليّ بأطفالها الرقيقين الحالمين، فيما أشعر بضربات المطرقة هنا، في الموضع الذي تدغغني فيه شفتا طفلي.

- ماريا: لا يروقتي ما تقولين.

- يرما: أنتن النساء الودادات، لا تشعرون بمن لا أولاد لهن. تتصرفن ببرود وبغير دراية، كالذي يسبح في ماء رقرق، جاهلاً مرّ الظمأ.

- ماريا: لا أحب أن أطرق الحديث ذاته، كلما التقينا.

- يرما: في كل مرة، أشتعل رغبة وأقل أماً.

- ماريا: يا لشقائك!

- يرما: سينتهي الأمر بي إلى الإيمان بأنني أنا طفلي. غالباً ما أنزل أثناء الليل حاملّة العلف للعجول الصغيرة، بعد أن كنت منصرفّة عن فعل هذا، إذ ما من امرأة تعمد إليه، وحين اخترق ظلمة العنبر، يرن وقع خطاي كأنها خطى رجل.

- ماريا: لكل مخلوق مسوغه.

- يرما: مع ذلك، لا يزال يهيم بي حباً. وترين بعينيك كيف أعيش!

- ماريا: وشقيقتاه؟

- يرما: ليلفني الموت دون كفن، إن جاذبتين الحديث، مرة.

- ماريا: وزوجك؟

- يرما: ثلاثتهم ضدي.

- ماريا: بماذا يفكرون؟

- يرما: أو هام. لا يفوه بها سوى أناس عديمي الضمير. يظنون أن من الممكن أن يكحل عيني رجل آخر، متتاسين أنه حتى لو حصل ذلك، فإن أول ما أضعه بعين الاعتبار شرف منزلي. إنهم أحجار في طريقي. لا يعلمون أنني إذا شئت، انقلبت سيلاً يجرفهم جميعاً. (تدخل إحدى الشقيقتين وتخرج حاملّة خبز).

- ماريا: مهما يكن من أمر، أخال أن زوجك ما زال يعشقك.

- يرما: زوجي يوفر لي الخبز والمأوى.
- ماري: يا للشدة التي تلم بك! يا للشدة! لكن تذكرني قروح سيدنا المسيح (تتقدمان من الباب).
- يرما (ترنو إلى الطفل): ها قد استيقظ.
- ماري: سيشرع بالغناء بعد حين.
- يرما: عيناه تشبهان عينيك تمامًا، أتعرفين هذا؟ هل لاحظت هذا من قبل؟ (باكيًا) عيناه نسخة من عينيك.
- («يرما» تدفع «ماريا» برفق وتخرج بصمت. تتجه يرما نحو الباب التي دخل منها زوجها)
- الفتاة الثانية: هس
- يرما (ملتفتة): ماذا؟
- الفتاة الثانية: انتظرتُ لحين خروجها. أمي في انتظارك.
- يرما: وحدها؟
- الفتاة الثانية: مع جارتيين.
- يرما: أخبريهن أن ينتظرن قليلًا.
- الفتاة الثانية: لكن، هل ستأتين؟ ألسن خائفة؟
- يرما: سوف أجيء.
- الفتاة الثانية: اها.
- يرما: لينتظرني حتى لو حلّ المساء (يدخل «فيكتور»).
- فيكتور: هل خوان هنا؟
- يرما: نعم.
- الفتاة الثانية (كأنها شريكة في جريمة): إذا سأحضر لك الحقيبة فيما بعد.
- يرما: كما تشائين. (تخرج الفتاة) اجلس.
- فيكتور: أراني مرتاحًا هكذا.
- يرما (تتأدبه): خوان!
- فيكتور: جننٌ أودعكم (ينتفض بخفة، لكنه يعاود هدوءه).
- يرما: ترحل مع إخوانك؟
- فيكتور: إنها إرادة أبي.
- يرما: لا بد أن الشيخوخة أدركته.
- فيكتور: أجل كثيرًا. (صمت)
- يرما: أحسنتُ صنعًا بتغيير حقولك.
- فيكتور: الحقول جميعها سواء.
- يرما: كلا. لو كنتُ مكانك، لرحلتُ بعيدًا جدًا.
- فيكتور: سيبان. النعاج نفسها بالصوف ذاته.
- يرما: نعم بالنسبة للرجال، لكننا معشر النساء شيء آخر. في حياتي لم أسمع رجلًا يقول في أثناء تناوله الطعام: ما ألد هذا التفاح! تمضون إلى غاياتكم دون التوقف أمام رقة الأشياء. أما أنا فأقول: مللت مياه هذه الآبار.
- فيكتور: يرما (يغطي المسرح ظل خفيف)
- يرما: فيكتور.

- فكتور: نعم.

- يرما: لماذا الرحيل؟ الناس يحبونك هنا.

- فكتور: لأنني كنتُ مستقيم السلوك معهم. (صمت)

- يرما: تصرفتَ على نحو جيد، إذ حملتني ذات مرة بين ذراعيك حين كنتَ يافعًا. أتراه ما زال عالقًا في ذاكرتك؟ لا أحد يتكهن بما سيحدث.

- فكتور: تغيّر كل شيء.

- يرما: الأ بعضها. ثمة أشياء حببسة جدران لا يمكن أن يمسهما التغيير لأن أحدًا لا يعبر لها سماعًا.

فيكتور: صدقت.

(تظهر الأخت الثانية وتتجه ببطء نحو الباب، حيث تمكث ساهمة، يُضئها آخر خيط من أشعة المساء)

- يرما: لكنها إذا حطمت جدار الصمت على حين غرة، فسيتخبط العالم مُكنظًا بصراخها.

- فيكتور: الأمر سيان، ما دامت التربة ستظل تُقبَل سواقبها والقطيع في الحظيرة والقمر في كبد السماء والرجل مع محراثه.

- يرما: ما أتعب العجز عن إدراك عجز الكبار!

(يتناهى إلى السمع دون انقطاع، صوت أجراس الرعاة الحزين)

- فيكتور: القطعان!

- خوان (يخرج): أراحل أنت؟

- فيكتور: وأريد أن أمر على الميناء قبل السحر.

- خوان: هل أنت راضٍ عني؟

- فيكتور: نعم. كنتُ خير مشترٍ.

- خوان (متوجهًا بالحديث إلى «يرما»): اشتريْتُ القطعان منه.

- يرما: صحيح؟

- فيكتور (متوجهًا بحديثه إلى «يرما»): هي لك.

- يرما: لم أكن أعرف هذا.

- خوان (راضيًا): وهكذا صار.

- فكتور: شئتهدين ممتلكات زوجك في ازدياد.

- يرما: الفاكهة تتملق أيدي الذين يتصببون عرقًا للفوز بها.

(تدخل الأخت التي كانت واقفة عند الباب).

- خوان: ليس لدينا مكان يتسع لهذا العدد من الخراف.

- يرما (متعجبة): الأرض واسعة. (صمت)

- خوان: سأرافك حتى الغدير.

- فيكتور: أتمنى لهذا المنزل سعادة أبدية. (يمد ليرما يده)

- يرما: ليسمع الله دعواك! حظًا سعيدًا!

(يخرج فيكتور لكنه سرعان ما يلتفت لحركة غير محسوسة من يرما)

- فيكتور: هل كنت تقولين شيئًا؟

- يرما (بصوت درامي): ليبارك الله خطاك، قلت.

- فيكتور: شكرًا (يخرجان، فيما تظلم «يرما» مُنزعجة، ترمق بنظراتها اليد التي شددت على يد فيكتور. تتجه إلى يسار المسرح على عجل وتأخذ وشاحًا).

- الفتاة الثانية: هيا (تعدّل من وضع الوشاح على رأسها بصمت).

- يرما: هياَ (تخرجان بهدوء).

(ضياء المسرح خافت. تخرج الأخت الأولى بمصباح لا يُضيء سوى الوجهة التي تتخذها. تتجه نحو الطرف الآخر بحثاً عن «يرما»، بينما ترن أجراس القطعان).

- الأخت الأولى (بصوت منخفض): يرما.

(تخرج الأخت الثانية، وترمقان بعضهما بنظرات باهتة متجهتين نحو الباب)

- الأخت الثانية (بصوت أعلى): يرما.

- الأخت الأولى (متوجهة إلى الباب وبصوت عالٍ): يرما!

(تُسمع أجراس القطعان وأبواق الرعاة، ثم يخيو ضياء المسرح تماماً)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(منزل الساحرة «دولوريس» ساعة السحر. تدخل «يرما» برفقة «دولوريس» وامرأتين عجوزين).

- دولوريس: كنت غاية في الشجاعة.

- العجوز الأولى: ما من شيء في العالم يضارع الرغبة قوة.

- العجوز الثانية: لكن الظلام كان كثيفاً عند المقبرة.

- دولوريس: كثيراً ما أُدبِت هذه الطقوس في المقبرة بصحبة نساء كن يشعلن رغبة في الإنجاب، وكانت فرائصهن جميعاً ترتعد خوفاً. جميعاً إلاك.

- يرما: جنّت يحدوني التوق إلى النتيجة. لا أرى فيك امرأة مُخادعة.

- دولوريس: لستُ كذلك. لنقضم الديدان لسانك، كالأموأت، إن كذبتُ يوماً. آخر صلواتي كانت مع امرأة متسولة عاقر لفترة تفوقك، فترزنت بطنها بتوأمين لم يتسع لها الوقت بوضعها في المنزل، فأنزلتهما باكبين عند حافة النهر، وأحضرتهما إليّ بنفسها، بقماط كي اضبطهما.

- يرما: وهل استطاعت المجيء سيراً من النهر؟

- دولوريس: نعم. جاءتُ والدم يسيل من قدميها وثيابها، بوجهٍ يطفح سروراً.

- يرما: ولم يصيبها شيء

- دولوريس: ما الذي يمكن أن يصيبها؟ الله أحد.

- يرما: هذا ما لا جدال فيه، الله أحد. ما كان يمكن أن يمسه شيء. أمسكتُ بالطفلين وعمدتهما بالماء الجاري، فيما كانت الحيوانات تلعبهما، أليس كذلك؟ أما أنا، فلم يثر طفلي فيّ اشمز إزاً. أظن أن النساء حديثات الوضع، يُسرقن نفساً حين يغفو الأطفال على صدورهن ساعات وساعات مُصغين إلى دقات الحليب الدافئ الذي تغص به أئذانهم، كي يرضعوا، ويعيشوا بهن حد الإعياء. ثم يلوون رؤوسهم (قليلاً بعد يا طفلي...) فتسبح ووجوههم بقطرات بيض.

- دولوريس: أوكد لك أن طفلاً سيعيبت بأحضانك عما قريب.

- يرما: سيكون لي طفل لأنه يجب أن يكون، وإلا انعدمت كبنونة الخليفة. أحياناً، حين تلهيني الثقة في عدم مجيئه أبداً... تلسعني السنة نار تتخاذل لها قدمي، لدرجة يتعذر معها إدراك الأشياء والرجال السائرين على الطرقات والأبراج، وتتراعى لي الأحجار كأنها مصنوعة من قطن. وأتساءل في سرّي: أية حكمة في وجود هذه الأشياء هنا؟

- العجوز الأولى: رابع أن تحلم الزوجة بأطفال، لكن لم كل هذا التوق إليهم إن شعرت بالعجز في إجابهم؟ أهم ما في هذا العالم أن نسلم قيادنا للسنين. لستُ أنتقدك، إذ لمستُ مدى عوني لك في الصلوات. لكن ما الذي تأملين في منح طفلك السعادة أم مقعد وثبر من فضة؟

- يرما: لستُ أعير الغد اهتماماً، أنا ابنة اليوم أفكر به. أنت عجوز وترين الأشياء مثل كتاب مقروء. أما أنا فظمأى مسلوبية الحرية. أشتعل رغبة في احتضان طفلي بين ذراعي كي أنام بسلام. اصغي إليّ ولو قليلاً ولا تخشي ما أقول، فحتى لو علمت أن طفلي سيكيل لي العذاب فيما بعد، وسيضمّر لي حقداً، ويشدني من شعري في الشارع، لسوف أستقبل ولادته بانشرح، لأنني أؤثر أن أنتثر دموعي من أجل مخلوق حي يسدد إلينا سكينه على أن أنتثره من أجل هذا الشبح

المُترعب فوق قلبي من سنين.

- العجوز الأولى: أنت أصغر من أن تستمعي لنصيحة. لكنك، بينما نترقبين رحمة الله، يجب أن تعيشي تحت كنف زوجك وحبه.

- يرما: أه! أراك تضعين إصبعك على أشد جراح جسدي عمقا.

- دولوريس: زوجك رجل طيب.

- يرما (تنهض): رجل طيب! رجل طيب! وماذا؟ ليته كان خبيثاً، لكنه ليس كذلك. إذ يمضي مع القطيع صباحاً ويعد نقوده ليلاً. وحين ننام معاً أشعر بجسده بارد كالجثة مكتملاً واجبه. أما أنا التي غالباً ما يرودني النفور من النسوة المُتقدات، فتسودني في تلك اللحظة رغبة عارمة في التحول إلى كتلة نار.

- دولوريس: يرما!

- يرما: لستُ زوجة مُبتدلة، لكني أعلم أن الأطفال يُولدون من رحم امرأة يقاسمها رجل، أو لو كان يوسعي أن أنجبهم لوحدي.

- دولوريس: أظن أن زوجك يعاني الأمرين أيضاً.

- يرما: كلا. إنه لا يتوق للأطفال.

- العجوز الأولى: لا تنفوهي بهذا الكلام.

- يرما: أستشف هذا من نظراته. ولأنه راغب عنهم، يحرمني لذة إجابهم. أنا لا أحبه، لا أحبه، لكنه مع ذلك خلاصي الوحيد. من أجل شرفي وشرف عائلتي هو خلاصي الوحيد.

- العجوز الأولى (بخوف): الصبح على وشك الطلوع، ولا بد أن تعودني إلى البيت.

- دولوريس: سوف تخرج القطعان، ومن غير اللائق أن يراك الرعاة وحيدة.

- يرما: كنت بأمس الحاجة إلى هذه المواساة. كم مرة يجب أن أعيد هذه الصلوات؟

- دولوريس: صلوات الغار مرتين، وحين انتصاف النهار، صلوات القديسة أنا. وما إن تشعرني بالحمل، حتى نأتين إليّ بكيل القمح الذي وعدتني به.

- العجوز الأولى: ذوابات النهار بدأت تسطع فوق الجبال. اذهبي.

- دولوريس: من الأفضل أن تدوري حول التربة لأن الأبواب

سنتفتح بعد حين.

- يرما (مُحِبَّة): لا أرى مسوغاً لمجيئي.

- دولوريس: أنادمة أنت؟

- يرما: لا.

- دولوريس (كدره): سوف أصطحبك حتى المنعطف، إن تشعرين بالخوف.

- العجوز الأولى (بقلق): سيكون النهار قد طلع حين تطأ قدمك باب المنزل. (تُسمع أصوات).

- دولوريس: صمّتاً (يتسمعن).

- العجوز الأولى: لا أحد. اذهبي برعاية الله وحفظه

(تتجه «يرما» نحو الباب الذي بدأ الطرق عليه لحظة وصولها. فيما مكثت النساء الثلاث الأخريات جافلات)

- دولوريس: مَنْ؟

- صوت: أنا.

- يرما: افتحي (تتردد «دولوريس»): تفتحين أم لا؟

(تنتهي إلى سمعهن همهمات. يظهر «خوان» مع شقيقتيه)

- الأخت الثانية: ها هي؟

- يرما: ها أنذا.

- خوان: ماذا تقولين في هذا المكان؟ أه لو كان بمقدوري الصراخ، لما توانيت في إيقاف القرية بمن فيها، حتى يروا ما يحل بشرف منزلي الآن. لكن يجب أن أكظم غيظي وألوذ بالصمت لأنك زوجتي.

- يرما: لو كان باستطاعتي أن أصرخ أيضاً، لما تأخرت عن إنهاض القرية بأمواتها كي يبصموا على طهارتي.

- خوان: كلا، لا تقعلي. أنا على استعداد لتحمل كل شيء سوى هذا. أنت تحدعينني وتقيمين حولي سوراً من ضباب. ولأني رجل أكدر في حقلي، فليس لديّ أدنى فكرة عن حيلك.

- دولوريس: خوان!

- خوان: لنكف السننك عن اللغو!

- دولوريس (بعنف): زوجتك لم ترتكب ما يُسئنها.

- خوان: إنها ترتكب منذ أول يوم من زواجنا. تمضي الليل قريرة العين تتطلع إليّ، فتنن الوسائد تحت لهيب تنهداتها السيئة.

- يرما: صه!

- خوان: لن أستطيع أكثر من ذلك. لا بد أن أكون مصنوعاً من البرونز كي أرى إلى جانبي امرأة تريد أن تغرز أصابعها في قلبي وتخرج تحت عباءة الليل، بحثاً عن ماذا؟ أجيبيني عمّ تبحثين؟ الطرقات تغص بالفتيان، وليس فيها زهور تقطفها.

- يرما: لن أدعك تنطق كلمة أخرى. يخيل إليّ وأهلك أنكم الوحيدون الذين يهتمكم الشرف، جاهلين أن بني أمي ليس لديهم ما يخفونه. اقترب إليّ، واملأ خياشيمك برائحة ملبسي! اقترب وانظر أية رائحة تعطر جسدي، سوى رائحتك ورائحة جسدك. عزني وسط الساحة وابصق عليّ. افعل بي ما يحلو لك، فأنا زوجتك، لكن ليالك أن تدبّق سمعني برجل آخر.

- خوان: لستُ الذي يفعل هذا، بل هو سلوكك. ألبينة القرية بدأت تلوك اسمك على نحو فاضح. حين أخف إلى جماعة، يُخيم الصمت عليهم فجأة، وحين أذهب لأرن الحنطة بصمت الجميع، حتى جنح بي الخيال إلى الاعتقاد بأن الأغصان هي الأخرى تصمت حين أستيقظ ليلاً وسط الحقول.

- يرما: أنا لا أدري لم تتطلق الريح الخبيثة لتكتسح الحنطة؟ فانظر إذا كانت الحنطة لا تزال جيدة!

- خوان: وكذلك أنا، أجهل ما تبحث عنه امرأة تجوب لساعات خارج منزلها.

- يرما (تعاينه بحركة غير متوقعة): أبحث عنك. عنك أنت، دابئة البحث ليل نهار، دون أن أجد لك ظلًا أتقياً به. إنني أشد دمك وكنفك.

- خوان: ابتعدي.

- يرما: لا تدفعني، قاسمني حماسي.

- خوان: دعيني.

- يرما: انظر، ها أنذا أطل وحيدة كأن القمر يسامر السماء بحثاً عن نفسه. تطع إلي! (تنظر إليه).

- خوان (يرمقها بنظرة ويبيدها على حين غرة): دعيني الآن.

- دولوريس: خوان!

(تسقط «يرما» على الأرض)

- يرما (تنهض): خرجت، رغبة في القرنفل، فاصطدمت بالجدار. آه، آه، عند هذا الجدار يجب أن أحطم رأسي.

- خوان: كفاك، لنذهب.

- دولوريس: ربا.

- يرما (صارخة): لعنة الله على أبي الذي أورثني دمًا لمائة طفل. لعنة الله على دمي الذي يبحث عنهم مصارعًا الجدران.

- خوان: قلت لك اسكتي.

- دولوريس: الناس مُقبلون! اخفضي صوتك.

- يرما: لا يهمني. دعني أعتق ولو صوتي، فسوف أدخل أعمم الأبار بعد قليل. (تنهض) اسمحوا لهذا الشيء الرائع يخرج من جسدي، فيعيق به الأثير (تُسمع أصوات).

- دولوريس: سيمرون من هنا.

- خوان: صمتًا.

- يرما: هو ذا، صمتًا!

- خوان: هيا أسرع.

- يرما: انتهى الأمر، انتهى الأمر. من غير المجدي أن اهز يدي،

والرأس يصبو لشيء...

- خوان: اخربي.

- يرما (تُخفض صوتها): أراني أصبو لشيء وثمة شيء آخر، الجسد. لعنة الله على الجسد، لا يستجيب لنا. مكتوب في لوحنا، ولا يُعقل أن أعمد إلى مطولة البحار، بذراع مُهشمة. انتهى الأمر، ليثبل لساني ما حبيبت.

(تخرج).

ينزل الستار على عجل

المشهد الثاني

قرب إحدى الصومعات عند الجبل. في مقدمة خشبية المسرح، ثمة دواليب عربية واقمشة سميقة، تمثل خيمة ريفية، تقبع يرما بداخلها. تلج النسوة إلى الصومعة، عاريات الأقدام، يحملن القرابين. وعلى الخشبية تظهر العجوز المرححة التي كانت في الفصل الأول.

(غناء قبل رفع الستارة)

لم تسطع في حياتي عينيك

حينما كنت بتولاً

مرتبطة، سأجديك،

وأنضو عنك الثياب

زوجة وحاجة

في ليل بهيم

ينتصف لنا

- عجوز (بسخرية): هل فرغتن من ارتشاف المياه المقدسة؟

- المرأة الأولى: نعم.

- عجوز: إذاً هيا لرويتيه.

- المرأة الأولى: نحن نؤمن به.

- عجوز: جنتن تسألن القديس طفلاً، فإزداد عدد الرجال الذين يجيئون هنا كل عام بمفردهم. ما الذي يحدث؟

(تضحك)

- المرأة الأولى: لم أتيت هنا، إن لم تكوني على إيمان؟

- عجوز: لأرى. أنا مهووسة بالفضول، ولألتقت إلى ابني. في العام المنصرم، اقتتل رجلان من أجل امرأة عاقر، فاستسلمت لفكرة حراسته. جنتُ هنا، لأن ذلك يثير في رغبة لا تقاوم.

- المرأة الأولى: ليسامحك الله! (يدخلن).

- عجوز (بهزة): ليسامحك أنت. (ترحل. تدخل «ماريا» مع الفتاة الأولى).

- الفتاة الأولى: وهل جاءت؟

- ماريا: ها هي ذي العربية. كلفني مجيئهم كثيراً. تكاسلت في مقعدها شهراً كاملاً، ترفض أن تبرحه. تثير في أوصالي الرعب، إذ تتسلط عليها فكرة أجهل مغزاها، لكنها فكرة خبيثة بالطبع.

- الفتاة الأولى: وصلتُ برفقة شقيقتي. عبتُ أحضرتُ منذ ثماني سنوات.

- ماريا: المرأة تضع، حين تصر على الإنجاب.

- الفتاة الأولى: أشاطرك القول.

(تُسمع أصوات).

- ماريا: هذه الصومعة لم ترقني قط. لنحنت خطانا نحو البيدر الذي يعج بالناس.

- الفتاة الأولى: في العام الماضي أخذ بعض الشباب يعيئون بنهود شقيقتي عند حلول الظلام.

- ماريا: في مساحة لا تتجاوز أربعة فراسخ، لا تُسمع سوى هذه الحكايات الفظيعة.

- الفتاة الأولى: رأيتُ أكثر من أربعين برميلاً من النبيذ خلف الصومعة.

- ماريا: سبيل من الرجال يتقاطرون من هذه السلاسل بمفردهم.

(يخرجن ثم تُسمع أصوات. تدخل «برما» برفقة ست نساء عاريات الأقدام، يتخذن وجهة الكنيسة. كن يحملن شموعاً متماوجة اللهب. يبدأ الظلام بالحلول).

- ماريا:

لتزهر الأوراد، إلهي

إليك أرتجي

ألاّ تدسّها في الظلال

- المرأة الثانية:

فوق جسدها النحيل

لتزهر الوردة الصفراء

- ماريّا:

في رحم إمانك

تتدلى سوداء

شعلة الأرض

- مجموعة نساء:

لتزهر الأوراد، إلهي

إليك نرتجي

ألاّ تدسّها في الظلال

(بركعن جاثيات)

- يرما:

سماؤك جنان

وأكمام نشوى

وما بين الوردة والوردة

تتفتق زهرة العجائب

ويندلق شعاع السحر

مزهواً بكبير الملائكة

يرعاها

أجنحتها مثل عواصف

وعينها سكرات موت

تعبث بوجه

النجوم الساكنة

وحول وريقاتها تلتف

غدران حليب طازج

يا رب، أفتق زهرتك

فوق جسدي الذاوي

- المرأة الثانية:

رطب بيديك، يا رب

جنوات خديها

- يرما:

استمع إلى مُعترفة
صومعتك المقدسة،
أفتق في جسدي زهرتك
حتى لو كانت بألف شوكة
- المجموعة:
لُتُزهر الأوراد، الهي
إليك نرتجي
ألاً تنسّها في الظلال
- يرما:
فوق جسدي الداوي
لتغفو زهرة العجائب.
(يدخلن)

(تخرج من يسار الخشبة صبايا ركضات، يحملن أشرطة طويلة في أيديهن. وعلى اليمين ثلاث صبايا أخريات يلتفتن للخلف. ومن على المسرح، يُسمع ما يشبه همهمة وضجة جلاجل وأجراس. ثم تظهر على مكان مرتفع سبع صبايا يلوحن بالأشرطة ناحية اليسار. يأخذ الضجيج بالازدياد، فيما يدخل قناعان شعبيان، أحدهما يمثل ذكرًا والآخر أنثى. يضغط الذكر على قرن ثور في يده. لا تبدو الفظاظة عليهما أبدًا، بل فيهما مسحة جمال أخاذ وتعبير نقاء. تلوح الأنثى بشريط تزينه أجراس كبيرة، فيغص قعر المسرح بجمهرة من الناس يصرخون ويعلقون على الرقص في ليلة قاتمة)

- أطفال:
الشيطان وزوجه!
الشيطان وزوجه!
- أنثى:
عند النبع الجبلي
تتضو الزوجة ثيابها
مُستحمة بأحزان غربتها
وحول ثنابا جسدها
تلتف قواقع المياه
رمال الضفاف
وعبق الغد
لهيبًا، يُضفي على بسمتها
وارتعاشًا على كتفيها
آه، ما أروع أن تُعرَى العذراء
قبالة قربان الماء!
- طفل:
آه، يا لشكواها!
- الرجل الأول:
آه، ذاوية عشقًا
بها تعصف الرياح والمياه

- الرجل الثاني:

أخبرنا لمن الانتظار!

- الرجل الأول:

أخبرنا لمن الترقب!

- الرجل الثاني:

آه من رحم عاقر

واللون باهت

- أنثى:

مع إطلالة الليل سأخبره

أن الضياء قريب

وأن الثياب الممزقة سترقع

حين تغفو الظلمة

فوق الصومعة

- طفل:

الليل قدم على عجل

آه، يا له من ليل حالك حل بي!

انظروا كيف قتمت

دقائق الجبل

(تبدأ أوتار فيثار بالعزف)

- ذكر (ينهض ويلوح بالقرن):

آه، يالطهارة

الزوجة الحزينة!

آه، كيف تضج بالشكوى

بين العصون!

شقائق نعمان وقرنفل

ستغدو بعد لاي

حين يبسط الذكر دثاره

(يقترب)

إن كنت أقبليت على الصومعة

لتسألني رحمك انتشاء،

فأنضي الخمار الأسود

وتحلي بثوب هولندي عذب

وحيدة،

جرجري خطاك خلف الجدران

حيث شجيرات التين مطبقات

وتحملي جسدي الريفي

حتى انبلاج السحر.

آه، كم تخطف الأبصار!

آه، كم تهتز رغبة هذه المتزوجة!

- أنثى:

آه، ليكسوها الحب

تيجان، وإكاليل غار

وسهام مُشعة

في نهديها تنسب

- ذكر:

تأوهت سبعا

وفي الثامنة هبت

وخمسة عشر، مزجت

برتقالأ بالياسمين

- الرجل الثالث:

بالبوق عالجها!

- الرجل الثاني:

بالورد والرقص!

- الرجل الأول:

آه كم تهتز رغبة

هذه المتزوجة!

- ذكر:

في موسم الحج هذا

لا أمر، سوى الذكر

الأزواج ثيران،

والأمر دائماً ذكر

بالغصن عالجها!

والزائرات المُتوردات

لذلك الذي يتوق لهن

- طفل:

بالريح عالجها!

- الرجل الثاني:

بالغصن عالجها!

- ذكر:

أقبلن لرؤية نور التي

كانت تستحم

الرجل الأول:

كالأسل تنقوس

- أنثى:

وتدبل كزهرة

- الرجال:

ليبتعدن الصغيرات!

- ذكر:

ليحترق الرقص

والجسد المضىء

للمتروجة الطاهرة.

(تهتّر أيديهم طرباً مُبتسمين، مُنشدين)

سماؤك جنان

واكمام نشوى

وما بين الوردة والوردة

تتفتق زهرة العجائب

(تعاود فتاتان مرورهما صارختين. تدخل العجوز المرحة)

- العجوز: لنرّ إن كانوا سيدعوننا ننام قليلاً. لكنها سنقبل بعد قليل (تدخل «يرما») أنت؟ (كانت حزينة لا تتكلم)، أخبريني لم جئت؟

- يرما: لا أدري.

- العجوز: ألم تكوني على قناعة؟ وزوجك؟

(تبدو على «يرما» علامات التعب مثل إنسان تتسلط على رأسه فكرة راسخة تُورقه كل حين)

- يرما: ها هو.

- العجوز: ماذا يفعل؟

- يرما: يشرب (صمت. ترفع يدها إلى جبهتها) آه!

- العجوز: آه، آه قليلاً من التهيدات وكثيراً من الحماس. لم أكن أستطيع أن أصارحك من قبل، أما الآن فالجراحة وانتهت لأبوح لك.

- يرما: وما الذي تقولين مما أجهل؟

- العجوز: ما لا يعد السكوت عليه ممكناً. ما تلوكه الألسن. العيب في زوجك، هل سمعت؟ أنني على استعداد لقطع يدي دلالة. لا أبوه ولا جده ولا جد سلفه كانوا رجالاً بحق. كان لا بد للسماء أن تطيق على الأرض حتى يتسنى لأحدهم الحصول على طفل. إنهم مجبولون من لعب، على عكس عائلتك تماماً. أشقاؤك وأبناء عمومك ينتشرون على منات الفراسخ من قريتنا. انظري أية لعنة تحل بحلاوتك!

- يرما: لعنة. إنها بركة سم تجثم فوق السنايل.

- العجوز: لكن لديك قدمين تهريين بهما من المنزل.

- يرما: أهرب؟

العجوز: حين لمحتك في الصومعة، كاد قلبي أن يثب من موضعه. النساء يأتين هنا ليتعرفن إلى رجال جدد. وبهذا يصنع القديس معجزته. ابني يقبع خلف الصومعة بانتظارك، ومنزلي بأمس الحاجة إلى امرأة. تأبطي ذراعه ولنعش نحن الثلاثة حياة مألها الحب. ابني فائر الدم مثلي. ادخلي منزلي، فما زال للمهد فيه عبق. وسيغدو رماد فرأشك خبزاً وملحاً لأطفالك. هيا، ولا تقيمي للناس وزناً. أما زوجك، فلدي في البيت من الوسائل والدروع ما تحول بينه وبين عبور الشارع حتى.

- يرما: اخرسي، اخرسي، كفاك، لن أفعل هذا ما حبيبت. لم أجي هنا بحثاً عن رجل، أم يُخيل إليك أن يوسعي مضاجعة آخر؟ أترأى غافلة عن شرفي؟ لا المياه يمكن أن تنساب إلى الورا ولا القمر يبتدى في الظهيرة. اغربي عن وجهي، وسوف أوصل الطريق الذي أقبلت منه. أحقاً تخالين أن باستطاعتي الالتفات إلى رجل آخر؟ أسأله حفي مثل جارية؟ اعرفيني جيداً حتى لا تنطق بمثل هذه الكلمات في حضرتي فيما بعد، فلست أبحث عن أحد.

- العجوز: إلى الماء يسعى من يُضنيه الظمًا.

- يرما: إنني مثل حقل ييباب، فرغت من حرثه آلاف الأزواج من البقر، فما تقدميه لا يعدو عن كأس صغيرة من بئر عميقة. إن جسدي إلا كأس، يفيض وجعًا.

- العجوز (بعنف): إذا، ليجديك ما اخترته نفعًا. كحراشف الأرض اليباب، أنت! ذاوية وعافر.

- يرما: عافر، نعم، أعرف هذا، عافر! ما من مسوغ للإفصاح عنه. لا تعبثي بمشاعري مثلما يتسلى الأطفال باحتضار حيوان لا حول له ولا قوة. منذ أن تزوجتُ وهذه الكلمة تدور رحاها في مساماتي كثيرًا، لكنها المرة الأولى التي تدبّق بأذني، المرة الأولى التي يتقيئونها في وجهي. المرة الأولى التي ألمس حقيقتها.

- العجوز: لستُ أسفة عليك. سأبحث لولدي عن امرأة أخرى.

(ترحل، فيما يُسمع من بعيد غناء طائفة من الزوار. تتجه «يرما» نحو العربة التي يظهر منها زوجها على حين غرة)

- يرما: أكنّتُ حاضرًا؟

- خوان: نعم، كنّتُ.

- يرما: مُتجسّسًا؟

- خوان: مُتجسّسًا.

- يرما: وسمعتُ؟

- خوان: كل شيء.

- يرما: وماذا تنتظر؟ دعني وجراحي واذهب للغناء.

(تجلس فوق الأقمشة)

- خوان: حان الوقت لأفيض بالحديث.

- يرما: تكلم.

- خوان: واتبرم شاكيًا.

- يرما: هل من مسوغ؟

- خوان: المرارة التي تغص بها حنجرتي.

- يرما: والتي تنخر عظامي.

- خوان: أن الألوان للإجهاز على النحيب الدائب على أمور غامضة خارجة عن إرادتنا، أمور في الهواء.

- يرما (باندعاش درامي): خارجة عن إرادتنا تقول؟ في الهواء تقول؟

- خوان: على أمور لم تحدث، كانت عسيرة على قيادك وقيادي.

- يرما (بعنف): أكمل، أكمل.

- خوان: على أمور ما عادتُ تهمني، تسمعين؟ لستُ أعيرها اهتمامًا. يجب أن أكاشفك بهذا. إن ما يثير اهتمامي حقًا ما تحضنه يداي، ما أراه بعيني.

- يرما (تجنو على ركبتيها قانطة): هكذا إذا. هذا ما كنتُ أصبو لسماعه من شفتيك. لا يمكن الشعور بالحقيقة حين تكون مُغلقة على نفسها، لكنها كم تتضخم وتزعق، بالإفصاح عنها! لا تقلق. لقد سمعتُ هذا.

- خوان (مُقتربًا): أظن أن الأمور يجب أن تمضي بهذا الشكل. اسمعيني (بعانقها) ثمة نساء كثيرات سيمتلأن سرورًا لو ارتدين لباس عيشك. للحياة نكهتها الخاصة بلا أطفال وأنا في غاية السعادة لأنني أعيش بدونهم. ما الذنب ذنبي.

- يرما: وما الذي تر تجبه مني؟

- خوان: أنتِ نفسك.

- يرما (هائجة): فقط؟ كنتُ تنشُد المنزل والهدوء والزوجة ليس إلا. صحيح ما أقول؟

- خوان: صحيح. مثل جميع الرجال.

- يرما: والمُتطلبات الأخرى؟ وطفلك؟

- خوان (بشدة): ألم أخبرك بأنني غير مصاغٍ لمثل هذه الأمور؟ كفي عن أسئلتك. هل يتعين علي أن أصرخ في أذنيك حتى تعرفينه، وتستسلمي للراحة ولو لمرة واحدة في حياتك؟

- يرما: أما فكرت به حين رأيتني أتوق إليه؟

- خوان: أبداً. (يجلسان على الأرض معاً).

- يرما: أليس باستطاعتي أن أعلق أملاً في الحصول عليه؟

- خوان: كلا.

- يرما: ولا أنت؟

- خوان: ولا أنا أيضاً. اذعني لمصيرك.

- يرما: خاوية.

- خوان: لنركن الآن إلى الهدوء، يظللنا السلام بفيه. عانقيني

(يعانقها)

- يرما: عمّ تبحث؟

- خوان: عنك أبحث. كم جميلة أنت في ضوء القمر.

- يرما: تبحث عني، بحثك عن حمامة تلتهمها.

- خوان: قبليني... هكذا.

- يرما: لن أفعل. (تصرخ ضاغطة على عنق زوجها الذي يسقط بدوره إلى الوراء، وتظل ضاغطة حتى نفر من جسده الروح. فتبدأ مجموعة الزوار). عاقر، عاقر، أصبحت مؤمنة بذلك. الآن، نعم، ألمس هذا بكل جوارحي. (تنهض، فيما يبدأ الناس بالتجمهر) سأغفو دون أن أفيق مُرتعشة الأوصال، كي أرى إن كان دمي يشي بدم جديد. جسدي بيباب ما حبيبت. ما الذي تودون معرفته بعد؟ لا تقتربوا، لأنني قتلْتُ طفلي. أنا نفسي قتلْتُ طفلي.

(تأتي مجموعة ثم تمضي إلى قعر المسرح، فيما تُسمع مجموعة الزوار).

ستار

•حسين نهابة

•العراق – بابل – الحلة

•مُترجم خبير، شاعر، كاتب وناشر

إيميل: info@ebjed.com

رقم الجّوال: 009647831010190

•رئيس مؤسسة «ابجد» الثقافية www.ebjed.com

•رئيس مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع

•رئيس تحرير مجلة «الدرأويش» الورقية الصادرة باللغة الإسبانية في اسبانيا - مدريد/2020

•رئيس مجلس إدارة صحيفة الأديب الثقافية 2018

•رئيس مجلس إدارة مجلة «كلكامش» لعامي 2010 و2011.

•عضو جمعية المترجمين العراقيين ITA

•عضو الاتحاد الدولي للمترجمين FIT

•عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين.

•عضو جمعية الناشرين والكتبيين في العراق PLAI

•عضو اتحاد الناشرين العرب APA

•مسؤول النقابة الوطنية للصحفيين العراقيين – فرع بابل

•خريج كلية اللغات لغة إسبانية 1988

•خريج كلية التربية لغة إنكليزية 2004

- تسعة عشر كتاباً مُترجماً من اللغة الإسبانية إلى اللغة العربية:

•رواية «البحار الصغير»/1987/بغداد/وزارة الثقافة والإعلام/دار ثقافة الأطفال.

•ISBN: 978-9953-5342-6-8 رواية «عاصفة في الكون»/2010/لبنان/دار المختار.

•ISBN: 978-9953-5344-8-0 رواية «الانهيار»/2011/لبنان/دار المختار.

•رواية «القرود الذهبية الثلاث»/2012/بغداد/دار الخيال.

•ISBN: 978-9953-5345-3-4 رواية «إمبراطورية ري – افاراكس» 2013/لبنان/دار

المختار.

□
•ISBN: 978-9953-5346-1-9 في القصة العراقية عبد الله نيازي نموذجاً/نقد 2014/

- لبنان/دار المختار. ISPN: 978-9922-9383-0-1 الطبعة الثانية 2020/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.
- 9-4-9-978-9953-5347-4 ISPN: رواية «رحلة الدوقة أنا»/رواية 2015/لبنان/دار المختار.
- 8-44-978-977-6588-4 ISPN: مسرحية «العافر»/فدريكو غارثيا لوركا 2017 – مصر/الإسكندرية – دار النوارس
- ديوان «شجرة ديانا» للشاعرة الأرجنتينية اليخاندرافيتارنيك 2018- المغرب العربي/دار الموجة.
- 8-1-978-9922-9383-1 ISPN: الطبعة الثانية 2020/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.
- 3-66-978-9933-761-66 ISPN: مسرحية «انوار بوهيميا»/الكاتب الإسباني رامون ديل فايه انكلان 2018/دار الدراويش للطباعة والنشر/بلغاريا.
- 3-66-978-9933-761-66 ISPN: الطبعة الثانية 2020/دار خطوط للطباعة والترجمة والنشر/الأردن.
- 3-0-978-9922-9083-0 ISPN: ديوان «الأعمال والليالي وقصائد أخرى» للشاعرة الأرجنتينية اليخاندرافيتارنيك 2018/العراق/دار سطور.
- 1-76-978-9922-806-76 ISPN: بورخس وأنا/العراق/بغداد/دار سطور 2019.
- 8-9-978-9923-7612-9 ISPN: رواية «أنا إنسان آلي»/اسحق عظيموف/دار خطوط للطباعة والترجمة والنشر/الأردن 2020.
- 1-1-978-9922-9502-1 ISPN: انتهد، فييزع بابلو نيرودا/نصوص وسير. 2020 – مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.
- 5-3-978-9922-9564-3 ISPN: ديوان «في جوف يده»/الشاعر الإسباني بيدرو انريكث/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق/2021.
- 9-9-978-2843-0915-9 ISPN: الدكتور باسافنتو. رواية. المؤلف الإسباني: أنريكيه فيلا-ماتاس/مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون/العراق/2021
- 4-7-978-6039-1640-7 ISPN: حفلة في الخواء. ديوان شعر. الشاعرة الأرجنتينية اليخاندرافيتارنيك/دار الوتر السابع/السعودية/2021
- 0-3-978-9922-9699-3 ISPN: حجارة الشمس. ديوان شعر. الشاعر المكسيكي اوكتافيو

بإث/ مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق/2022

• ISBN: 978-9922-9735-0-0-0 نصور كافكا. مختارات. مؤسسة أبجد للترجمة والنشر

والتوزيع/العراق/2022

عشرة كتب مُترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإسبانية:

• ISBN: 978-6199-1576-0-2 ديوان «وطن مجنون»/الشاعر العراقي حسن الخرساني.

2018/دار الدراويش للطباعة والنشر/بلغاريا.

• ISBN: 978-9920-9526-8-2-2 الموسوعة المعاصرة لمائة شاعر وشاعرة عرب/الجزء

الأول 2019/المغرب/دار الموجة.

• ديوان «حروف الجمر» الشاعرة المغربية فاطمة غزالي/2019/دار الدراويش للطباعة والنشر/

بلغاريا.

• ISBN: 978-9996-6154-8-2-2 مسرحيتان تاريخيتان «زفرة العربي الأخيرة» و«عائشة

الحرّة»/2019/دار الدراويش للطباعة والنشر/بلغاريا لحساب جمعية المترجمين العراقيين

(مشروع 100 كتاب).

• ISBN: 978-9922-9383-7-0-0 الموسوعة العربية المعاصرة للقصة القصيرة - الجزء

الأول 2020/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.

• ISBN: 978-9922-9502-6-6-6 ديوان «ملاح الماء»/الشاعرة الإماراتية كلثم عبد الله -

2020/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.

• ISBN: 978-9922-9363-0-5-5 الموسوعة المعاصرة لمائة شاعر وشاعرة عرب/الجزء

الثاني 2021/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.

• ISBN: 978-9922-9563-2-9-9 ديوان «لحن بأصابع مبتورة»/الشاعرة القطرية سميرة

عبيد/2021/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.

• ISBN: 978-9927-1429-4-9-9 كتاب «مصيري... أهوال الحرب وطموحات السلام»/

السفيرة الإكوادورية «إيفون عبد الباقي»/قسم الترجمة في وزارة الرياضة والثقافة القطرية/دار

لوسيل للنشر والتوزيع/قطر/2021.

• ISBN: 978-9922-676-55-5-5 الموسوعة العربية المعاصرة للقصة القصيرة - الجزء

الثاني 2022/مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع/العراق.

كتابين مُترجمين من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية:

• «حكايا الطاووس والثعلب» قصص للأطفال/الكاتبة العراقية ذكرى لعبي. الترجمة باللغة

الإسبانية والإنكليزية. 2018

• «غرفة 208» مجموعة قصصية/الكاتبة السورية رندة عوض. 2019

ثمانية دواوين شعرية:

• «تجليات عطشى» طبعة أولى 2014/سوريا/السويداء/دار ليندا عبد الباقي، طبعة ثانية 2016/بغداد/دار ميزوبوتاميا. تُرجم إلى اللغة الفرنسية، اللغة الإنكليزية، اللغة الإسبانية.

• «طقوس ما بعد الأربعين» 2015/بغداد/دار ميزوبوتاميا.

• ISPN: 978-977-737-160-4 «فجر التعاويذ» 2016/مصر/القاهرة/مؤسسة بداية.

• ISPN: 978-9953-5349-1-6 «مائة شيبية وشيبية» 2016/لبنان/دار المختار.

• ISPN: 978-997-6588-25-7 «صلاة الغائب» 2017/مصر/الإسكندرية/دار النوارس.

• ISPN: 978-9933-5806-5-0 «خلخال غجرية» 2017/سوريا/دمشق/دار نينوى. تُرجم إلى اللغة الإسبانية.

• ISPN: 978-1234-5678-9-7 «اعذرنى إن لم أودّك» 2018/بلغاريا/دار الدراويش للطباعة والنشر.

• ISPN: 978-6199-1576-5-7 «قباغ غرناطة» 2020/بلغاريا/دار الدراويش للطباعة والنشر.

مسرحيتان:

• ISPN: 978-977-6588-35-6 «زفرة العربي الأخيرة» 2017/مصر/الإسكندرية/دار النوارس. تُرجمت إلى اللغات الفرنسية والإنكليزية والإسبانية.

• ISPN: 978-997-6588-51-6 «عائشة الحرة» 2017/مصر/الإسكندرية/دار النوارس.

خمسة كتب تاريخ توثيقية:

• ISPN: 978-9933-3800-1-4 كتاب تأرخوتوثيقي نقدي «تمائم حميد سعيد» 2017/سوريا/دمشق/دار نينوى.

• ISPN: 978-9933-5373-6-4 كتاب تأرخوتوثيقي نقدي «اساطير ناجح المعموري» 2018/سوريا/دمشق/دار تموز.

• ISPN: 978-9933-5378-0-1 كتاب تأرخوتوثيقي نقدي «متون بابلية/جبار الكواز وصلاح السعيد» 2018/سوريا/دمشق - دار تموز.

• كتاب تأرخوتوثيقي نقدي «نسمات بابلية/اعتقال الطائي، حسينة بنيان، سناء الاعرجي، علياء

الأنصاري ووداد الواسطي» 2019/العراق/دار اليسر.

• ISBN: 978-619-91054-0-52020 كتاب تأرختوثيقي نقدي «شكر ابن العلوية»/2020/بلغاريا/دار الدراويش للطباعة والنشر.

الجوائز والتكريمات:

• حائز على المرتبة الأولى لمسابقة ترجمة القصائد الشعرية الأولى (من الإسبانية إلى العربية) لجمعية المترجمين العراقيين عام 2018.

• حائز على المرتبة الأولى لمسابقة ترجمة القصائد الشعرية الثانية (من العربية إلى الإسبانية) لجمعية المترجمين العراقيين عام 2018.

• حائز على تكريم مشترك في بيت الحكمة في احتفالية قسم الدراسات اللغوية والترجمية بمناسبة اليوم العالمي للترجمة بالتعاون مع وزارة الثقافة العراقية/دار المأمون للترجمة والنشر وجمعية المترجمين العراقيين ومشروع بغداد مدينة الإبداع الثقافي/اليونسكو في 30/9/2018 عن أفضل المترجمين الرواد.

• حائز على جائزة الإبداع (وزارة الثقافة والسياحة والآثار) لأفضل فيلم روائي قصير لعام 2018 - فيلم لا تخبروا انجلينا جولي (الإنتاج السينمائي).

• حائز على المرتبة الأولى عن قصيدة (سلام بائعة الورد) في مهرجان روما الدولي الرابع (صوت الشاعر 2019) عام 2019.

• بمناسبة يوم الترجمة العالمي، تكريمي في بيت الحكمة قسم الدراسات اللغوية والترجمية بالتعاون مع جمعية المترجمين العراقيين، أحد أعمدة الترجمة لعام 2020 بالمشاركة مع نخبة من بعض المترجمين من عمداء الكليات وأساتذة الجامعات العراقية.

السينما:

• منتج الفيلم القصير «لا تخبروا انجلينا جولي» 2018، إخراج ذو الفقار المطيري. حائز على جائزة «لجنة التحكيم» لمهرجان أيام دمشق السينمائية 2018، وجائزة أفضل مونتاج في مهرجان الساقية بمصر 2018 وجائزة الإبداع (وزارة الثقافة والسياحة والآثار) لأفضل فيلم روائي قصير لعام 2018.

• منتج الفيلم الوثائقي الروائي «عائلة في فرع» 2019، إخراج علي اصلان.

الكتب التي كتبت عني:

• الحلة ينبوع أخضر... قراءة في إبداع حسين نهابة/تأليف شكر حاجم الصالحي/دار تموز/سوريا -

دمشق 2018.

•حسين نهابة... مواسم ملونة/تأليف حمدي مخلف الحديثي/دار اليسر/العراق 2018.

•حسين نهابة... وقصائد قصيرة جدًا/تأليف حمدي مخلف الحديثي/دار اليسر/العراق 2019.

•لعبة الشعرية وفتنة الإزاحة الجمالية في قصائد حسين نهابة/بلغاريا/دار الدراويش للطباعة والنشر

2020.